333

HARLEQUIN

روايات أحلام

أعطني حريتي

لاي ميتشل

www.elromancia.com

أعطني حريتي

لقد تزوجت عملاً لا رجلاً !
كانت إيف مقتنعة أنها لن تقع في الحب مرة أخرى ، لهذا وافقت على الزواج بهذا العريس الذي لا تعرفه !
دايفيد رجل مثالي ، وسيم وموهوب ومتحمس لتنفيذ الاتفاقية ، فهو سيتزوج إيف مقابل تأمين مستقبله ...
لكن عناقاً واحداً غيّر كل شيء ! فقد مزق دايفيد اتفاقية الزواج ، ولديه الآن مطالب أخرى ...

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-215-2

لاي ميتشل

إنها مؤلفة منذ صغرها، حين كانت في الرابعة من عمرها كانت تملي أبياتاً من الشعر من تأليفها على أختها الكبرى المربضة.

بدأت بكتابة الروايات وهي في سن المراهقة، أحرقت ست مسودات قبل أن تنشر أولى رواياتها.

لديها الآن أكثر من ٦٥ قصة، وهي تقيم حلقات دراسية تعلم خلالها كتابة الروايات في الجامعات، في مؤتمرات الروائيين، وعبر الإنترنت.

تحب لاي التواصل مع قرائها. يمكنكم الاتصال بها على العنوان التالي: Po Box 935 Ottumwa, Lowa 52501

أو عبر بريدها الإلكتروني: Leighmichaels @ hotmail. com

١ ـ حرية بشرط

كان معتاداً على الألوان البراقة لأنها تحيط به على الدوام، فقد نشأ متآلفاً مع غموض حجر الأوبال المتعدد الألوان، ووهج أحجار الياقوت وتألق الماس الثلجي ولمعان البلاتين الهادىء ودفء الذهب.

لكنه لم ير قط مثل متجر المجوهرات هذا. . . هذا المتجر الذي كان من الشهرة بحيث أن اسمه لا يحدّد نوع عمله بالضبط. فهو معروف، وبكل بساطة، باسم «متجر بيرمنغهام». والكل يعلم أن «متجر بيرمنغهام» هو المكان الذي تجد فيه أروع أنواع المجوهرات المبتكرة والفريدة.

لم يكن يبدو كأي متجر مجوهرات آخر، بل أشبه بمعرض فني. ما من واجهات أمامية للعرض، وبدلاً من صفوف العلب المعروضة، تجد نصف دزينة من العلب الزجاجية التي تجثم فوق عمود رخامي وكل منها تحتوي على قطع عدة من المجوهرات. كانت العلب مبعثرة بشكل عشوائي على سجادة مخملية زرقاء ناعمة. أول ما وقعت عيناه عليه قرب الباب، كان عقداً من الماس مغلفاً بالمخمل فبدا كشلاّل من نار تحت الضوء.

اقترب منه رجل في بذلة قاتمة: «أي خدمة يا سيدي»؟

وكان دايڤيد لا يزال ينظر إلى العقد، ففي ترتيب حباته لمسة غير عادية. أدرك ذلك من على مسافة عدة أقدام وكأن العقد تحدث إليه، لكنه لم يعلم بالضبط ما الذي جعله مختلفاً. تشوّقت أصابعه لحمل حبات

العقد ليتفحص طريقة صنعه عن قرب علّه يستطيع أن يفهم بالضبط كيف صنع.

لكنهم لم يستدعوه من «أتلانتا» ليعاين عمل هنري بيرمنغهام ويطلع على مهارة الرجل العجوز. في الواقع لا يعرف حقاً سبب استدعائه بهذا الشكل المفاجىء.

أجاب: «أنا دايڤيد إليوت، جئت لرؤية السيد بيرمنغهام».

ـ نعم، إنه يتوقع حضورك.

وتقدّمه الرجل إلى غرفة صغيرة جانبية تحتوي على ثلاث مقاعد مريحة تفصل بينها منضدة صغيرة مكسوّة بمخمل من لون السجاد نفسه. على أحد هذه المقاعد جلس هنري بيرمنغهام. في تلك اللحظة، بدا الرجل العجوز وكأنه يلهو بمجموعة من الخواتم الماسية.

وقف دايڤيد عند العتبة، فوضع هنري الخواتم جانباً ثم وقف. سبق لدايڤيد أن رأى هنري بيرمنغهام من بعيد، في مؤتمرات صانعي المجوهرات وحلقاتهم الدراسية، لكنه لم يقابل يوماً ملك مصممي المجوهرات وجهاً لوجه. لذا، أجفل وهو يرى أن الرجل أصغر حجماً مما توقّع... كان أقصر وأنحف وكأن الدهر أحنى ظهره قليلاً. لكن شعره، ورغم لونه الرمادي، لا يزال كثيفاً وفوضوياً. كما كانت عيناه بتألق الماسات التي يعبث بها.

شملت عينا الرجل العجوز دايڤيد بنظرة متفحّصة قبل أن يبتسم ويمد يده مصافحاً. شعر دايڤيد وكأنه أنهى لتوّه سباق قفز فوق الحواجز وهو معصوب العينين ومع ذلك استطاع أن يفوز.

ـ مرحباً بك في «متجر بيرمنغهام»، وأشكرك لأنك قطعت هذه المسافة لكي تراني. تفضل بالجلوس.

وعاد يجلس وهو يتأمل الخواتم المبعثرة أمامه: «أمامي أغرب طلب على الإطلاق. لقد جمعت السيدة الخواتم التي اقتنتها على مرّ السنين

كلها... من إرث الأسرة، وزوجيها الأولين وغير ذلك. في الحقيقة، ما من خاتم ثمين بينها... الذهب لا بأس به. لكنها عادية الطراز كلها بفصوص غير فاخرة. ما من خاتم بينها يحملها على أن تضعه مرة أخرى، لكن وبدلاً من أن تلقيها في صندوق مجوهراتها وتهملها نهائياً، أتت بها إليّ وطلبت مني أن أجعل منها كلها حلية تستمتع بها. هل لديك أي فكرة؟».

ابتسم دايڤيد قليلاً: «لا أظنك دعوتني إلى شيكاغو لأنك بحاجة إلى نصيحة حول تصميم حلية، يا سيد بيرمنغهام. لقد أمضيت في هذا العمل خمسين عاماً أكثر مما أمضيت أنا».

ـ نادني هنري كما يدعوني الجميع. لا، أنا لم أدعك لأن هذا المشروع حيّرني لكنني أريد رأيك.

انحنى دايڤيد إلى الأمام والتقط أقرب خاتم. كانت الحلقة الذهبية متآكلة، والإطار الذهبي المزخرف الذي يحتضن الحجر الكريم متلفاً من الاستعمال اليومي. أما الفص الماسي، فكما سبق وقال هنري، عادي الطراز واللون والصقل. وضعه جانباً وأمسك بآخر فأدرك أن فصه مكسور حتى من دون أن يخرج العدسة من جيبه ليفحصه.

نظرة سريعة أنبأته بأن المجموعة كلها متشابهة تقريباً، وأن قصّ الفصوص على الطراز القديم. كانت باختصار عادية مهترئة.

ـ ليس بينها الكثير مما يصلح. ما الذي تريده؟ حلية للصدر؟ قلادة؟

ـ تركت الخيار لي.

ـ وهكذا، إذا لم تعجبها النتيجة فستلومك أنت.

فقال هنري وهو يتكىء على المنضدة أمامه: «ربما. ماذا كنت لتفعل؟».

ـ أنتزع الفصوص وأذيب كل خاتم وحده، ثم أفرغ الذهب في الماء. بعد أن يبرد سيشكل كتلة غير منتظمة فأضع الفصوص في الكتلة الذهبية ثم

أجعلها على شكل عقد أو سوار. أما إذا كانت تفضّل قطعة للتفاخر، فسنصنع إذاً كتلة ضخمة. أتراني اجتزت اختبارك؟

ـ اختباري؟

ـ هل رأيي هذا يستحق ثمن تذكرة سفري إلى هنا؟

بقي هنري صامتاً فترة جعلت دايڤيد يندم، بعد فوات الأوان، على هذا السؤال العديم التهذيب. لقد قال كل تلك الأشياء الغبية من دون أن يعرف الرجل، ومن دون أن يكون لديه فكرة عن سبب دعوة هنري بيرمنغهام له لزيارة متجره. لم يكن هذا وقت الإدلاء بملاحظات.

وأخيراً قال هنري: «لو لم أكن أعلم مسبقاً أن ثمن التذكرة لن يذهب سدى، لما سألتك رأيك في الخواتم. فلنخرج من هنا لكي نستطيع أن نتحدث. ربما ما زال الوقت مبكراً للغداء ولكن بإمكاننا أن نشرب شيئاً».

ثم تناول عصاه الأبنوسية وتقدّمه خارجاً من الغرفة.

وتردد دايڤيد: «ألا ينبغي حفظ تلك الخواتم بشكل آمن قبل أن نخرج؟ إنها ذات قيمة وإن لم تكن هذه القيمة مرتفعة».

ـ سيفعل ذلك أحد الكتبة، وهذا من حسنات ترؤس مصلحة ما، واعتبارك نابغة. لقد جعلت المستخدمين عندي يعتقدون بأنني من الانشغال بالإبداع إلى حد أني لا أزعج نفسي بأشياء تافهة مثل ترتيب مكان عملي قبل خروجي.

نظر دايڤيد إلى الخلف بعد أن توجها إلى المدخل الرئيسي فرأى امرأة ترتدي ثوباً أسود تدخل الغرفة الصغيرة.

ما كان ليدهش لو أن هنري أخذه إلى أجمل نادٍ خاص في المدينة، فهو واثق من أن الرجل عضو في كل تلك النوادي حيث بإمكانه أن يجد زبائن هامين. ولهذا، ذهل وهو يرى هنري يسير بدلاً من أن يطلب سيارة أجرة ثم ينعطف إلى شارع جانبي حتى دخل مقهى صغيراً بدا وكأنه بني منذ مئة سنة.

ـ المكان هنا ليس ممتازاً لكن الطعام جيد للغاية وغير مكلف. كما أن الموظفين لا يستعجلونك كما يحدث في أكثر الأماكن الجميلة. ماذا تحب أن تشرب يا دايڤيد؟

ـ قهوة من فضلك.

وأشار إلى النادلة وطلب منها إحضار فنجاني قهوة: «يمكننا أن نجلس هنا من دون إزعاج. ربما تتساءل عن سبب دعوتي لك، ولماذا طلبت منك ألاّ تخبر رب عملك عن وجهة سفرك».

ـ هذا صحيح.

أحضرت النادلة القهوة ثم ابتعدت. فقال هنري وهو يحرّك السكر في قهوته: «أنت مصمّم شاب موهوب للغاية».

ـ شكراً يا سيدي.

ـ وربما أنت واحد من ثلاثة شبان يتمتعون بالموهبة والخبرة في بلادنا.

ـ يشرفني أن ألفت انتباهك.

ـ ربما ما كان هذا ليحدث لو لم تقدم تصاميمك الشخصية في تلك المباراة في الربيع الماضي، بدلاً من المادة التي تصممها لمستخدمك. الحقيقة يا دايڤيد هي أنك ما دمت تعمل حيث أنت الآن، فلن تتقدم أبداً. فتلك الشركة أكثر جموداً وتحفظاً من أن تدعك تبسط جناحيك.

أدرك دايڤيد أن الرجل لمس منه وتراً حساساً، لكنه قال باتزان: «لطالما كان رب عملي منصفاً معي».

رفع هنري حاجبيه: «هل أنت من الولاء له بحيث لا تقول شيئاً ضده؟».

ـ نعم، ما دمت أقبض منه أجراً. قناعتي هي أنني إذا أردت أن أتكلم عن رب عملي بالسوء، فعليّ أن أستقيل أولاً.

ـ سمعت ذلك عنك، وأنك وفيّ إلى النهاية. لكن مستقبلك ليس

هناك.. أنت تعلم، كما أعلم أنا، أنهم ضيقو الأفق لذا لا حاجة بنا للحديث عنهم ولنتحدث عنك. هل يرضيك أن تمضي بقية حياتك في وضع تصاميم صغيرة مكررة تبعث على السأم؟

هذا الوصف القاسي جعل دايڤيد يعترف بينه وبين نفسه بأنه ينطبق على عمله تماماً: «وصفك الأمر بهذا الشكل يجعلني أعترف بأن هذا صحيح وأنه لا يرضيني طبعاً، وأنا مستعد لأي فرصة للتغيير. على أيّ حال، أي صاحب عمل لا بد أن يضع قيوداً معيّنة...».

فقاطعه هنري: «لماذا لا تعمل بشكل مستقل إذاً؟».

ـ أتعني أن أنشىء شركة لنفسي؟ مع احترامي لك يا سيدي، حتى أنت ما كان بإمكانك ذلك. لم يكن لديك أساس تبني عليه لولا أن أباك ترك لك محلاً صغيراً وعدداً قليلاً من الزبائن المميزين.

فقال هنري ضاحكاً: «أراك حفظت الدرس عن ظهر قلب؟».

ـ كل شخص في مجالنا يعلم كل شيء عن «متجر بيرمنغهام». بالمقارنة، عليّ أنا أن أبدأ من الصفر. إن رأس المال الذي تحتاجه في هذه الأيام لتؤسس شركة ناجحة أضخم بكثير مما كان عليه في أيامكم منذ خمسين عاماً.

ـ إذن، سبق لك أن فكرت في ذلك.

ـ طبعاً.

ـ الطموح حسن. هل أعجبك ما رأيته في متجري؟.

أومأ دايڤيد بشيء من الحيرة: «لو كان لدي مال كافٍ للعمل وحدي، لاتبعت طراز عملك. لماذا تسأل؟».

ـ هل تحب أن يكون عملي لك؟

أخذت أذنا دايڤيد في الطنين. أتراه سمع جيداً؟ وسأله بحذر: «أن يكون عملك لي؟ ماذا تعني بالضبط؟»

فأجاب بفروغ صبر: «أن يكون لك... تحصل عليه... تمتلكه!».

حدق الشاب إليه. هل جن الرجل؟ لم يسمع أي إشاعة عن أن هنري بيرمنغهام فقد عقله... أو لعله بدأ يخرّف؟ قال دايڤيد بصوت هادىء تماماً وكأنه يتحدث إلى طفل: «أخبرتك لتوّي أني لا أملك مالاً كافياً لأعمل بمفردي. قد يكون من السهل أن أقنع مصرفاً أو شركة مغامرة بإقراضي مبلغاً أشتري به عملاً مؤسساً في مكان ما. ولكن ليس متجر بيرمنغهام. فالمبالغ التي نتحدث عنها هنا خيالية، ولا أظن أنّي أستطيع أن أحصل على قرض كهذا...».

فقال هنري: «متجري ليس للبيع».

ـ لا أفهم حقاً عما تتحدث.

ـ أنا أعرض عليك متجري يا دايڤيد، أو بالأحرى نصفه... لكن، لديك الحرية الكاملة بالنسبة إلى تصاميمك. وطبعاً، ثمة القليل من الشروط. هل تريد أن تسمعها؟

* * *

مرّ على خروج هنري ربع ساعة كاملة قبل أن يتوقف رأس دايڤيد عن الطنين ويبدأ بالتفكير بشكل سويّ.

هنري بيرمنغهام ليس مخبولاً يا إليوت، بل أنت المخبول! ما الذي وافقت عليه بحق جهنم؟ ولماذا؟... أخذ يتساءل بقنوط، رغم أن سؤاله أحمق. «متجر بيرمنغهام» بالنسبة إليه أشبه بإغراء سمكة قرش بقطعة كبيرة من لحم سمكة التونة. وكان هنري يعلم ذلك. علماً أنّ العمل لم يجعل دايڤيد يجفل بهذا العنف، بل الإغراء في الحقيقة. لقد قدّم له هنري الحرية... الحرية التي كان يتمناها عالماً أنه لن يجدها إلا إذا أصبح سيد نفسه.

كان منوّماً مغناطسياً. هذا هو التفسير الوحيد. لقد نوّمه هنري وجعله يفكر بأن ما عرضه عليه معقول، بينما....

www.elromancia.com

عليه أن يخرج حالاً ما دام بإمكانه ذلك. أن يقف ويندفع خارجاً من هذا المقهى، ثم يوقف أول سيارة أجرة لتقله إلى المطار حيث سينتظر أول رحلة تقلع إلى أثلانتا. وهناك ينفض عن قدميه غبار هذه المدينة من دون أن ينظر إلى الوراء.

لكنه لم يتحرك. لقد عرض عليه هنري «متجر بيرمنغهام» على طبق كبير من الفضة... مع بعض الشروط طبعاً.

شروط لا يمكن لحفيدة هنري أن توافق عليها.

تملكه مزيج غريب من خيبة الأمل والارتياح. لم يكن عليه أن يخرج، كما ظن. بل يمكنه أن ينتظر نصف ساعة، تماماً كما وعد هنري. وإذا لم تحضر... حسناً، يكون قد فعل كل ما بوسعه... ولا يمكن لهنري أن يلومه.

نظر دايڤيد إلى ساعته. مرت عشرون دقيقة حتى الآن. كل ما عليه أن يفعله الآن هو أن ينتظر عشر دقائق وينتهي الأمر.

لكن وخزة ألم مفاجئة تملكته... «متجر بيرمنغهام»... وتملّكه الأمل للحظات. وسبح خياله يريه العجائب التي يمكنه أن يبتكرها، إن أعطيت له الحرية واتيحت له الفرصة والسند.

قال صوت منخفض من خلفه: «دايڤيد إليوت؟».

رفع بصره يكاد يرجو أن تكون النادلة.

لكن هذه المرأة لم تكن تلبس زي عاملات المقهى، بل بذلة داكنة الخضرة ضيقة على جسدها في الأماكن المناسبة ويطل من ياقة سترتها العالية حبل من اللؤلؤ مناسب تماماً ليستقر عند أسفل عنقها. كانت صغيرة الحجم، وجهها بشكل القلب، وعيناها بلون خضرة بذلتها تظللهما أهداب فاحمة السواد. كما كان شعرها الأسود مسرّحاً إلى الخلف ومربوطاً بعقدة رخوة عند رقبتها.

ـ أرسلني جدي.

شعر دايڤيد بطعنة سكين نجلاء بين أضلعه. لم يعلم ما كان يتوقع أن تبدو عليه صغيرة هنري بيرمنغهام. في الواقع لم يتوقع شيئاً لأنه لم يفكر في هذا الأمر بتاتاً. كل ما أدركه هو أن هذه المرأة ليست كما كان ينبغي أن يتوقع فبإمكانها أن تدير رؤس الأموات في المشرحة.

قالت: «اقترح جدي أن نتحدث على الغداء».

وقف ببطء محاولاً أن يتصرف كسيد مهذّب: «هل أنت... إيف؟».

وشعر بحماقة لا بد أنها بدت عليه.

كانت نظراتها كنظرات هنري المباشرة المركزة وبريق عينيها كبريق عينيه المتفحصتين. لكن وجهها كان جامداً بشكل غريب. جلست على كرسي قبالته، فعاد يجلس شاعراً بضعف في ركبتيه. لم يتوقع قط أن تأتي حقاً... لكنه ذكّر نفسه بأن حضورها لا يعني قبولها. ربما كان هذا تهذيباً منها كيلا يبقى وحده أو لعلها لا تعرف ما يدور في ذهن جدّها.

وتمالك نفسه حين طلبت فنجاناً من الشاي.

قالت: «فهمت أنك تبادلت مع هنري حديثاً صريحاً».

ـ لديه بعض العروض الهامة... أعني... اسمعي، لا أدري ما إذا أخبرك كل شيء.

ـ هنري لا يخفي عني سوى القليل.

ربما هذا من ضمن ذاك القليل.

ـ عرفت منذ زمن أنه يفكر في التقاعد وأنه لا يريد أن يبيع المتجر خوفاً من أن تصبح قيمته أقل مما عمل جاهداً من أجله. وقد أخبرني منذ مدة أنه يبحث عن مصمم شاب، محترف وماهر يشاركه رأيه في تصميم المجوهرات وبالتالي يتابع العمل من بعده.

ـ وماذا عنك؟ ألا تريدين هذا العمل؟

ـ يمكنني أن أتذوق جمال التصميم، لكنني عاجزة عن القيام به.

ـ تقولين هذا بهدوء تام.

ـ أمضيت سنوات قبل أن أعتاد على فكرة أن مواهبي تنحو في اتجاه آخر، كما أدرك هنري منذ وقت طويل أنني لن أصبح كما يريدني.

ـ ولكن لا بد أنك متأثرة لأنه مضطر لإحضار رجل غريب.

ـ طبعاً، فأنا جزء من العمل... أتدبر أمور المستخدمين، وأستقبل الزبائن، وأراقب كل ما يجري. لكنني أوافق جدي الرأي. إذ بقدر ما يؤلمني إقفال متجر بيرمنغهام، إلا أنني أفضل ذلك على أن يصبح كشركات الإنتاج بالجملة. وإذا ظن جدي أنك الرجل المناسب فسيسعدني أن أدعم خياره.

ـ إذا كنت جادة في هذا، فلا أظنه أخبرك بكامل خطته.

وسكب لنفسه مزيداً من القهوة. كان يعلم أنه شرب الكثير، فقد أصبحت أعصابه متوترة.

قالت بهدوء: «إذا كنت تتساءل عما إذا أفضى إلي بأنه يريدني أن أتزوج خليفته الذي اختاره...».

ووقعت الملعقة من يده: «أتعرفين هذا أيضاً؟».

ألقت عليه نظرة شبه حزينة: «سبق وأخبرتك أنه يكاد لا يخفي عني شيئاً».

ـ لا بد أنك ترين في هذا عودة إلى العصور القديمة.

بدا عليها التفكير: «لديه أسبابه. فأسرته رتّبت له أمر زواجه... وكان زواجاً ناجحاً. وهكذا خطرت له هذه الفكرة عندما أخذ يفكر في مستقبل «متجر بيرمنغهام». للشركة القانونية عيوبها في حين أنّ الزواج أضمن لسلامة العمل والغريب الذي يتزوج من أسرة لا يعود غريباً. فأنا لا أستطيع أن أطردك إذا ضايقتني، كما أنك لا تستطيع أن تستلم المتجر وتطردني».

ـ ربما لم يسمع جدك عما يسمونه طلاقاً.

ـ إنه لا يرى سبباً ينهار معه زواج حصل لأسباب معقولة وجيدة وأقدم

عليه شخصان متفقان على كل شيء وأنا وافقته على ذلك.

ـ يا إلهي. أنت لا تشبهين ملكة الثلج وحسب، بل أنت متجمدة طوال الوقت.

قال ذلك من دون تفكير، وخيّل إليه لحظة أنه رأى لمعان دمع في عينيها قبل أن تنظر بعيداً. وتملكه الندم إذ ليس من عادته التصرّف بعدم تهذيب. لكنها، وقبل أن يتكلم مجدداً، عادت تواجهه بحزم: «عليك أن تفهم طبعاً أن هنري يتطلع أيضاً إلى مستقبل المتجر ليس بعده فقط، بل بعدي وبعدك. فالشركة لا تنجب وريثاً مثل الزواج».

كانت المرأة جادة تماماً، بقدر ما هي مجنونة، بحسب رأيه.

ـ أما زلت لا ترين تصرّفه غريباً قليلاً؟

فقالت بهدوء: «أظن أن ما لا يعلمه هنري لن يضره في شيء».

فقال ببطء: «بمعنى آخر ومهما كان هدف هنري فأنت تنوين الزواج بالاسم فقط».

فأومأت.

ـ ولماذا؟

وبدا عليها نفاد الصبر: «أتعني لماذا لا أريد أن... أن...».

ـ لا. أنا لا أسألك لماذا لا تريدين زواجاً فعلياً بل أريد أن أعلم لماذا رضيت بزواج صوري.

توترت أصابعها على الفنجان لكنها قالت بهدوء: «هذا ليس من شأنك. فلنقل إن لديّ أسبابي التي تجعلني أطلب حماية خاتم الزواج من دون التورط عاطفياً».

يا للعزيزة المسكينة التي تظن أن الخاتم يمكنه أن يحميها من تحرّش الرجال بها! لكن، عندما يقترب الرجل منها بما يكفي ليدرك أن خلف هذا المظهر الخارجي الرائع الخداع تكمن روح باردة كالثلج، قد يبتعد من دون عودة. إنما سيكون هناك رجل آخر دوماً...

ثم تذكر كلماتها(لديّ أسبابي التي تجعلني أطلب حماية خاتم الزواج من دون التورط عاطفياً). فقال برقة: «أظنني فهمت. ويمكنك أن تخبريني أيضاً، يا إيف. هل أنت حامل أم تخافين أن تكوني كذلك؟».

تنفست بحدة فظنها، وللحظة، ستلقي فنجانها في وجهه. لاحظ مأخوذاً احمرار وجهها. إنها ليست بالبرودة التي كان يظنها، وبدا وكأن الثلج أخذ يتصدع.

قالت بحدة: «لا هذا ولا ذاك».

ـ هذا حسن، فأنا لا أفكر كثيراً في تربية الأطفال. لكنني إذا رأيت طفلاً، أتمنى لو كان لي ابن.

ـ لن تزعج نفسك بهذا الهراء حتماً.

ـ أراك واثقة من أنني سأوافق على هذه الخطة الجنونية.

ـ سيكون من الجنون أن تتركها. أن تصبح خليفة هنري فرصة ذهبية.

ـ وماذا سيفعل لو أنني رفضت ؟

فهزت كتفيها: «قد يعود إلى قائمته لاختيار غيرك».

ـ أي قائمة؟

وتذكر الملاحظة التي قالها هنري من دون اهتمام. كان الغرور قد أدار رأسه وهو يرى ملك تصميم المجوهرات يختاره، فلم يهتم بالتفاصيل. لكنه تذكر الآن ما قاله هنري عن أنه واحد من بين ثلاثة موهوبين هم الأفضل في البلاد. فقد حضّر هنري قائمة بثلاثة أسماء؟

ـ لا تظن أنك الموهوب الوحيد في البلاد أو أن جدي سيغامر بمستقبل عمله ويسلّمه لأول رجل يتمتع بالمواصفات المطلوبة، من دون التطلع إلى أبعد من ذلك.

ـ ما هو موقعي في القائمة؟

ـ لا أدري بالضبط.

ـ أرى أن هذا هو أحد الأشياء القليلة التي لم يطلعك عليها.

ـ تماماً. ولعله يريدك أن تعتقد أنك أول شخص يطلب مني التعرف إليه.

إذن لو ثمة من يتقدّمه في قائمة هنري، فهذا يعني أنهم لم ينجحوا في الامتحان: «أظن هذا مريحاً».

ـ على أيّ حال، لم يعد ترتيبك مهماً بعد أن عرض الأمر عليك. أي مصمم عاقل لا يهتم بموقعه في القائمة، بل يمد يده بسرور ليقتنص الفرصة.

ـ أنت مخطئة بالنسبة إلى ذلك، فهنري لا يطلب يداً... بل زوجاً.

فقالت بشيء من التردد: «حسناً، لا أتوقع أن نلتقي كثيراً، في الواقع. إنما سيكون علينا أن نعيش في منزل واحد كما أظن».

فقال: «أظن أن هنري سيلاحظ أننا نعيش في مكانين منفصلين».

ـ لا أرى سبباً يمنعنا من أن نكون مرنين بالنسبة لهذا.

فقال مفكراً: «رفيقا غرفة».

ـ إذا شئت. وما يطلبه لا يعادل «متجر بيرمنغهام».

رأى دايفيد أنها محقة فالأهم هو العمل. فقد عرض عليه هنري فرصة لن تتكرر، فرصة لا يستطيع رفضها مهما كان الثمن، لأن رفضها يعني التضحية بأحلامه ونسيان موهبته. لن يحصل على فرصة أخرى كهذه أبداً.

نظر إليها فشعر وكأن مستقبله تغيّر كلياً ليتضمن «بيرمنغهام» وإيف. فقال: «فلنتناول الغداء، ونخطط للزفاف».

***

لم يكن هناك خطط كثيرة للزواج، وفكرت إيف بأنه من الأفضل أن توضح له ذلك منذ البداية. فقالت: «لا أريد أي تقاليد حمقاء. ما من

ثوب زفاف أبيض مطرز باللؤلؤ، أو أطفال يحملون الذيل أو بذلات صباحية أو أزهار برتقالية أو. . .».

- أو أوهام.

نظرت إليه بحدة تتأمله لأول مرة. كان حسن المظهر رغم أن ملامحه خشنة بحيث لا يمكن اعتباره وسيماً بالضبط. كان شعره بنياً عادياً وعيناه بنيتين لكنهما غير عاديتين على الإطلاق، فهما مرقطتان بلون ذهبي ومحاطتان بأهداب طويلة. أما هالة الثقة بالنفس التي تحيط به فمنحته شخصية مميزة.

قال: «أليس هذا ما يُقال عنه (كُشف الغطاء عن الوهم؟). أنا واثق من أنني سمعت هذه العبارة في مكان ما».

بدا سؤاله بريئاً تماماً، لكنه كان يعني طبعاً أن ما من وهم. . . وبما أن هذا هو بالضبط ما أرادت قوله، لم يتملكها الاستياء: «هذا صحيح. ما من وصيفات عروس أو كعكة زفاف في علب صغيرة توزّع على الضيوف، أو رقصة «ڤالس» شاعرية. وما من باقة ورد تلقى للعازبين بين الجموع».

فقال: «لا أدري لما لا يدهشني هذا».

لم يكن هذا سؤالاً، لكن إيف ظنت أنها رأت في عينيه حيرة وشيئاً من الارتياح. أغاظتها الحيرة قليلاً. أتراه يظن حقاً أن العرس الفخم هو حلم كل امرأة شابة بغض النظر عن الظروف التي أدّت إلى الزواج؟

أما الارتياح الذي بدا عليه فلم تجد صعوبة في فهمه. فهي لا تشك أبداً في أنه مستعد، لو شاءت، لأن يقيم لها أفخم عرس مهما كلفه ذلك. فما سيحصل عليه في المقابل لا يُثمّن، والعرس سيُقام ليوم واحد بينما متجر «بيرمنغهام» إلى الأبد.

وسرّها أنها فكرّت في الأمر ملياً واتخذت قرارها. أسباب زواجهما جيدة، لكن العالم لن يفهمها أبداً. زواجهما في الكنيسة وتبادل العهود

ونظرات الحب الزائف منتهى النفاق. لذا، من الأفضل أن يتزوجا مدنياً وليظن الناس ما يشاؤون.

وأنهت كلامها: «طبعاً، لن نضع قائمة بأسماء آلاف الضيوف. وإذا كانت أمك من النوع الذي يحب تنظيم الحفلات فأخبرها أننا لن نقيم أيّ حفل».

فقال بهدوء: «أمي توفيت وأنا في الثامنة عشرة».

فشهقت بألم: «آسفة لاسترسالي في الكلام من دون تفكير. . .».

- ماكنت لتعلمي ذلك. لم تذكري الخاتم على قائمة التقاليد التي لا تريدينها.

ونظر مقيّماً إلى يدها اليسرى. فنظرت هي بدورها إلى يدها العارية وحاولت كل ما في وسعها لتمنع نفسها من إخفاء يدها: «إذا كنت تفكر في تصميم خاتم خطبة رائع فلا تزعج نفسك».

فقال مقطباً: «ألا تريدين خاتماً؟ حفيدة بيرمنغهام لا تلبس خاتم خطبة؟ فالناس، مثلي، يتوقعون. . .».

وسكت فجأة.

- بالضبط. وعندما تصممه، لن تفكر في ما يعجبني أو لا يعجبني لأنك تجهل ذلك بل ستفكر في تأثيره على الناظرين، لكنني لا أحب أن أكون لوحة إعلانات.

- تباً لكثرة افتراضاتك يا إيف! من قال إني لن أسألك عما تحبين أن تلبسي؟

- تريد أن تعلم؟ حسناً. أريد «محبساً» من البلاتين.

- هذا أفضل من الذهب نظراً للونك. وماذا بالنسبة إلى الفص؟ ألماس أم تفضلين الألوان؟

- أريد محبساً بسيطاً فقط، لا الماس ولا زخارف.

نظر إليها طويلاً ثم قال عابساً: «إنه للمصلحة فقط، كهذا الزواج

تماماً. بدأت أستوعب الصورة».

ـ هذا حسن، لأننا الآن سنفهم بعضنا بعضاً.

وبيد ترتجف قليلاً، رفعت فنجان الشاي وأخذت ترشف منه.

***

٢ ـ ألف سؤال وسؤال

وصلت إيف إلى المطار قبل ساعة من موعد وصول طائرة دايڤيد.

جلست في صالة استقبال المسافرين وهي تفكر في أن أمامها ساعة انتظار كاملة. من حسن الحظ أن دايڤيد لن يعلم قط أنها جاءت مبكرة، فقد يظنها تتلهف لحضوره. لكنها في الواقع هربت من جدها، مفضلة الجلوس في صالة مطار «أوهير» هذه.

فللمرة الخامسة عصر هذا اليوم، أطل جدها من باب مكتبها ليسألها إن كانت سمعت أيّ خبر من دايڤيد، ما جعلها تفقد أعصابها: «إنه رجل كبير يا هنري ويمكنه أن يركب الطائرة من دون إرشاداتي. لقد طلبت أن تستقبله سيارة ليموزين وأعطيت السائق التعليمات اللازمة كي يأخذه إلى الفندق حيث يضع أمتعته ثم يحضره إلى هنا. ماذا تريد غير ذلك؟».

ـ هذا لا يُظهر مودة كبرى. أعني أن حياة الفتى ستتغيّر كلياً وتنقلب رأساً على عقب كما أنه سيتخلى عن الكثير.

ـ أنا واثقة من أنه مقتنع تماماً بالتضحية التي يقوم بها.

ولم تعبأ إيف بإخفاء التهكم في صوتها.

ـ نريده أن يشعر بالارتياح لقراره هذا.

ـ هذا هو سبب إرسالي الليموزين بدلاً من سيارة أجرة. إذا كنت لا تعتبر هذا كافياً فلماذا لا تذهب لاستقباله بنفسك؟

ـ حسناً، بإمكاني ذلك، ولكن ماذا عنك أنت؟ فقد مضى شهر منذ

رأيته، يا إيف. واستقباله هنا في المحل بين الموظفين لا يبدو مناسباً.

ـ لا حاجة بك للقلق من الموظفين.

وعادت تحني رأسها على أوراقها الموضوعة على المكتب.

ـ لماذا لا تأخذين بقية النهار عطلة وتذهبين لاستقباله؟ ولا حاجة لإحضاره إلى هنا. فلا بأس إن بدأ بالتعرف إلى العمل في الغد.

ـ أنا مشغولة يا هنري.

ـ مشغولة بحيث لا يمكنك استقبال خطيبك؟ ما دمت لا تستطيعين الذهاب، فلا بأس يا عزيزتي.

شبكت ذراعيها على صدرها ونظرت إليه بارتياب. إذا أخذ هنري يتحدث بوداعة، فعليها أن تحاذر.

جلس أمامها ثم أشار إلى الأوراق المبعثرة على المكتب: «أخبريني إذاً عن الحملة الدعائية التي سنقوم بها».

تسمّرت إيف في مكانها. لا يمكنها في الحقيقة أن تعطيه أي معلومات عن الشعارات الجديدة التي اقترحتها وكالة الإعلان بالرغم من أنها أمضت فترة بعد الظهر في النظر إلى الإعلانات.

بدا واضحاً أن هنري يعلم ذلك أيضاً. شيء ما في طريقة جلوسه أنبأها بأنه مستعد للجلوس طيلة بعد الظهر أو طيلة الوقت اللازم لكي يجعلها تهرب.

وضعت أوراقها: «حسناً، سأذهب إلى المطار. لا أدري لماذا أذهب فيما يمكن لدايڤيد أن يرى اسمه على اللوحة التي سيرفعها سائق الليموزين. ولكن نظراً لإصرارك...».

ـ لا تسرعي بالعودة، تجوّلي معه في أنحاء المدينة قليلاً، وعرّفيه إلى موطنه الجديد.

ـ أنا لست مرشداً سياحياً.

ـ خذيه إذن لتناول العشاء. كل إنسان عليه أن يأكل.

عندئذ، سارعت إلى الخروج قبل أن يضيف هنري إلى قائمته مطلباً آخر. وتجنباً لأيّ اقتراحات أخرى، أقفلت هاتفها الخلوي عند الباب.

ولسوء الحظ، سارت سيارة الأجرة بها بسرعة قياسية، وها هي ذي هنا الآن... تجلس في صالة المطار لتنتظر مدة ستين دقيقة. وليس لديها ما تفعله سوى التفكير.

وكثرة التفكير يمكن أن تكون خطرة، كما اكتشفت منذ زمن طويل. لقد حاولت طوال الشهر الماضي، ألاّ تفكر في دايڤيد، وذلك منذ استقل الطائرة عائداً إلى إتلانتا بعد ذلك الغداء المصيري. أن ترتبط بعد أقل من أسبوع برجل غريب مدى الحياة فكرة أصعب مما تتصور.

حسناً، ليس غريباً تماماً. فقد تحدثا هاتفياً مرات عدة، أو ثلاث مرات على وجه التحديد وذلك منذ موافقته على الزواج. كانت تكلّمه عندما يناولها جدها السماعة. ولم تكن هي أو دايڤيد من يسعى إلى الاتصال. وكان الحديث بينهما مختصراً متكلفاً دوماً.

في الواقع، لم تتحسّن معرفتهما ببعضهما البعض عما كانت عليه عند عقد الاتفاقية. وهذا لا يعني أن مدى معرفتهما ببعضهما البعض مهم كثيراً، رغم أن العرس سيقام بعد أيام. فالأوراق الرسمية التي تتعلق بالمتجر قد كُتبت ولا تحتاج إلا إلى توقيع، ورخصة الزواج جاهزة.

من المؤكد إن دايڤيد لن يتراجع. سيوافق على الزواج من أفعى على أن يدع هذا العمل يفلت من يده.

أما بالنسبة إلى إيف...

كانت قد حسمت أمرها منذ أشهر، عندما ذكر هنري خطته، وذلك قبل أن تعرف دايڤيد بوقت طويل. حينذاك، لم يكن يهمها من تتزوج، فرأت أنّ من الأفضل أن تسعد جدها بمحاولة حفظ العمل الذي يعني لهما الكثير. وهكذا قررت أن تثق بحكم هنري.

وهذا لا يعني أنها تجازف كثيراً عندما تثق بحكمة جدها، فثمة شيء

مؤكد وهو أن الرجل الذي اختاره لها لا يمكن أن يكون أسوأ من الرجل الذي اختارته بنفسها.

تراڤيس...

سماحها لنفسها بأن تفكّر في تراڤيس كان كمن يحرّك سكيناً في جرح. لم يعد الألم قوياً ودائماً كما كان في البداية. لكن عذاب الحزن والخسارة يمكن أن يعود للظهور، لدى أقل ذكرى، من دون إنذار أو تحذير.

ومع ذلك، احتمال الألم أصبح أسهل الآن. ومع مرور الزمن سيتراجع أكثر كما حدثت نفسها حتى يصبح ذات يوم مجرد ذكرى حزينة.

وشعرت ببعض التعزية لأنها أدركت أنها تقوم بالعمل الصواب.

ألقت امرأة كانت تجلس بجانبها بصحيفة في سلة المهملات وهي تقف لتستقبل مسافراً، لكن الصحيفة لم تستقر في السلة. نظرت إيف إليهما وهما يسيران نحو الباب، ثم التقطت الصحيفة وأخذت تتصفحها من دون أن ترى المقالات. وكلما وصل فوج من المسافرين كانت تنظر إلى اللوح الذي يسجّل مصدر الرحلة فتجد أن رحلة أتلانتا لم تصل بعد.

كانت واثقة كل الثقة من صحة قرارها بالنسبة إلى تراڤيس. ولكن هذا لا يعني أنها ستنساه على الإطلاق.

لا يمكن للمرأة أن تنسى من تحب فالحب ليس حنفية يمكنها أن تفتحها وتقفلها بحسب الرغبة، إنما هو أشبه بالنبع الذي يتفجر ولا يمكن إيقافه.

في الواقع، لقد فتحت قلبها لتراڤيس، ما يعني أنّ ما من فرصة أمامها لتحب مرّة أخرى في حياتها. لقد تقبّلت إيف ذلك، وإن لم تهتم كثيراً بتفسيره. حتى هنري لا يعرف القصة بأكملها، كما أنها غير مستعدة لأن تخبر أي رجل يدعوها على العشاء بأنها لا يمكن أن تهتم به لأنها وهبت قلبها لشخص آخر وإلى الأبد.

في الواقع، وأثناء الأشهر التي تلت قرارها المتعلق بتراڤيس، وجدت صعوبة في الابتعاد عن الرجال الآخرين. إذ يبدو أن الذكور وجدوا أن إيف المنهكة وعديمة الاهتمام تشكّل تحدّياً أكثر من قبل.

قالت لدايڤيد إن لديها أسبابها الخاصة التي تدفعها إلى طلب حماية خاتم الزواج. فبعد الزواج لن تخشى أن يظن بعض الرجال أنها لعوب تحاول إغراءهم، مظهرة اهتماماً هي بعيدة عن الشعور به.

لن يخطر في بال دايڤيد قط أنها مهتمة به، فهو أذكى من ذلك. وهذا هو السبب الذي سيجعله زوجاً مثالياً. فالاتفاقية التي عقداها لم تكن تضره بشيء، بل إن الفائدة التي سيحصل عليها من هذا الزواج ضخمة. وبما أنهما يعرفان تمام المعرفة أن زواجهما لن يتحوّل إلى علاقة عاطفية، فلم يعد ثمة حاجة لتوخّي الحذر من أيّ زلة لسان أو حركة قد يُساء فهمها.

حتى هنري لم يقع ضحية الوهم بحيث يظن أنهما وقعا في الحب من أول نظرة، أو أن ذلك سيحدث لهما في ما بعد. رغم أن الحزن تملكه عندما أدرك أن الوريث الذي يتمناه لن يتجسد. حسناً، حتى الزواج المبني على الحب قد لا يثمر ذرية. وعدم الإنجاب لا يثبت شيئاً.

كان هذا الترتيب ممتازاً، كما حدّثت إيف نفسها. والحالة العصبية التي تعانيها مجرد حالة تعانيها أي امرأة تتخذ قراراً نهائياً، وهي لا تدل على وجود أي شكوك لديها.

في الواقع، تمنت لو أنّ بإمكانها أن تقنع هنري بأن يقيم العرس الليلة. فما فائدة الانتظار؟

مرّ بها سيل آخر من المسافرين، لكن إيف لم تنتبه لهم، فقد كانت تراقب رجلاً يرتدي بذلة سائق سيارة ويرفع لوحة كتب عليها إليوت. إنه سائق الليموزين.

سيكون مضحكاً لو أن دايڤيد رأى السائق فرافقه على الفور من دون أن يراها. وحدثتها نفسها لحظة بأن تبقى حيث هي فيما صحيفتها تخفي

وجهها، وتنتظر حتى يرحلا. بعدئذ، تخبر جدها أنها أضاعت دايڤيد في الزحام...

ووقف مسافر بجانبها فجأة، فسدّ الطريق على رجل آخر خلفه ما جعل هذا الأخير يشتم. ثم قال برقة: «إيڤ؟»

أجفلت واستدارت تواجهه. ذلك الصوت؟ هذا غير ممكن: «تراڤيس؟»

فقال بصوت مرتجف: «إيڤ. يا حبيبتي إيڤ. كيف عرفت؟... طبعاً عرفت من سكرتيرتي أنني قادم اليوم. لم أكن أعلم أنك ما زلت تتصلين بها».

هزت رأسها لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إليه والتهامه بعينيها. إنه أكثر أناقة من المعتاد، وكل شعرة من شعره الأشقر في مكانها وعلى ذراعه معطفه الواقي من المطر، فيما يحمل في يده حقيبة رقيقة من جلد التمساح.

تابع بصوت متهدج: «لم أجرؤ على الأمل، فقد كنت في غاية الشوق إليك، يا حبيبتي. حاولت أن أفعل ما طلبته مني. حاولت كثيراً لكنني لم أنجح. لا أستطيع منع نفسي من أن أفكر فيك وأحلم فيك، وأرغب فيك. ويبدو أنك لا تستطيعين نسياني أنت أيضاً وإلا لما جئت لتستقبليني. دعيني أسمعك تقولين هذا يا إيڤ. أخبريني أنك هنا لأنك غيّرت رأيك يا إيڤ».

قال هذا بلهجة منتصرة. ليتها تستطيع أن تغير رأيها! لكنها لا تستطيع ذلك فما من شيء تغير. واستجمعت كل ما لديها من شجاعة وسيطرة على النفس لتقول: «لست هنا لكي أستقبلك، يا تراڤيس».

بدا وكأنه تلعثم لحظة قبل أن يقول: «ولكن لا بد أنك كذلك. وإلا، لما أنت هنا إذن؟ هذا ليس وسط المدينة».

ومدّ ذراعيه وكأنه سيضمها إليه.

عاد إليها العذاب والتردد والتساؤلات التي أرقتها قبل اتخاذها قرارها. لعلها أخطأت في إدارة ظهرها لكل ما كان بينهما، منكرة عليهما فرصة قضاء حياتهما معاً...

لكنها عادت تحدث نفسها بحزم بأن هذا غير صحيح. فقد اتخذت قرارها بألم وحزن ومنطق، ولا يمكن أن يكون كل هذا خطأ.

ولكن كيف يمكنها أن تقنع تراڤيس بذلك بينما تجد صعوبة في إقناع نفسها؟

لفتت نظرها حركة خلف تراڤيس... رأت مسافراً يخترق الجموع، بدا طويلاً، عريض الكتفين، أشعث الشعر والهيئة. لم يكن دايڤيد معتاداً على الأسفار مثل تراڤيس الذي يمضي يومياً ساعات في الطائرات.

إنه دايڤيد! وتملكها الارتياح.

ألقت الصحيفة من يدها، وركضت لتستقبل دايڤيد تاركة تراڤيس. رفع دايڤيد حاجبيه قليلاً وهي تلقي بنفسها بين أحضانه رافعة وجهها إليه وهي تهمس: «عانقني».

ألقى بحقيبة أوراقه من يده ثم احتضنها وانحنى يعانقها بقوة.

يا له من رجل بصلح للطوارىء، كما أخذت تفكر. إنه لا يسأل ولا يتردد بل يندفع فوراً ليقوم بعمل مفيد.

كان عناقه طويلاً حاراً وعميقاً، عناق حبيب لا يتملكه الشك في منزلته لديها. عمل فعّال للغاية في الحقيقة. ارتجفت، ولم تستطع أن تتصوّر كيف يبدو المنظر للمشاهد العادي.

أنهى عناقه وأبعدها عنه قليلاً يتأملها، ثم عاد يحتضنها بشدة أكثر ويعانقها بعمق أكبر وكأنها أثارت فيه جوعاً. وعندما ابتعد عنها أخيراً كانت مشوشة الذهن كلياً.

قال رجل بصوت منخفض: «يا للرجل المحظوظ! وما أجمله من ترحيب».

فقالت امرأة لمرافقها باشمئزاز: «هل رأيت تصرفاتهما؟ ألا يدرك هؤلاء الناس أن الآخرين لا يهمهم أن يروا هذه المشاهد».

هذا الكلام أجاب عن تساؤلها حول تأثير هذا المشهد على الناس، كما فكرت إيف بفلسفة وهي تنظر خلسة إلى الخلف من دون أن ترى أثراً لتراڤيس. فقال دايڤيد: «إذا كنت تنظرين إلى الشاب الذي كنت تتحدثين معه فقد وقف ينظر إلينا برهة ثم اختفى. وأظن أنّ هذا هو التأثير المطلوب».

بدا هادئاً وكأنه اكتفى بمصافحتها وبقي ممسكاً بيدها وكأنه يخاف أن تهرب. فقالت: «أنا قادرة تماماً على الوقوف وحدي».

تركها فوراً وانحنى يلتقط حقيبة أوراقه الرثة: «لا تنسي صحيفتك».

ـ ماذا؟ ليست لي.

ـ أحقاً؟ عندما رأيتك كنت تمسكين بها وكأنك مستعدة للذود عنها بحياتك أو بالأحرى وكأنها ملجأ يحميك. لا أدري إن كنت ستخبريني عن معنى ذلك المشهد.

أرادت أن تجيب بالنفي، لكنها أدركت أن عليها أن تعطيه نوعاً من التفسير: «كانت فقط... ثمة شخص أردته ألا يعلم عن.. عن...».

ـ عن اتفاقيتنا الصغيرة؟ كنت قد ابتدأت أتساءل عما إذا كنت تنظرين ببساطة أكثر من اللازم إلى مسألة اقناع الناس بأننا زوجان؟ العيش في بيت واحد قد يقنع هنري حالياً، لكن ماذا عن الآخرين؟ مثل... مهما كان اسم الذي حاولت التأثير فيه.

بدا واضحاً أنه ينتظر الاسم. فلينتظر! وقالت: «بالنسبة إلى اقناع الناس، فعلينا أن نتحدث في ذلك. أظن أنّ علينا أن نذهب لإحضار حقائبك».

وأشارت إلى السائق الذي لمس قبعته محيياً وتقدّمهما إلى قاعة الأمتعة.

نظرت إيف بارتياب إلى الحقيبتين اللتين أشار إليهما دايڤيد: «ليس لديك الكثير من الأمتعة».

انحنى السائق ليحمل الحقيبتين بينما قال دايڤيد وهو يضع ذراعه حول خصرها ليقودها إلى المخرج: «لقد شحنت بعض الأمتعة».

شعرت برجفة من جراء لمسته، فحدثت نفسها بألا تكون غبية. ما من سبب يجعلها ترتجف للمسة بسيطة مهذبة كما حدث لها أثناء ذاك العناق.

ـ طبعاً، نسيت أنني أعطيتك العنوان. حسناً، إذا احتجت شيئاً فسيوفره لك الفندق.

ـ الفندق؟

ـ حجز لك هنري في فندق «إنغلند». شعر بأنه من غير المناسب أن تنتقل إلى بيتي قبل الزفاف، وشقته صغيرة لا تتسع لضيف. لكن فندق «إنغلند» هو أحد أحسن فنادق المدينة.

ـ أنا واثق من أني بأرتاح.

ـ ستبقى فيه لأيام على أيّ حال، حتى يوم الزفاف.

وتنفست بعمق: «عليّ أن أنبهك بالنسبة إلى العرس».

ساعدها على الصعود إلى الليموزين ثم جلس بجانبها: «ماذا بالنسبة إليه؟».

ـ ظننت أنه من الأفضل أن نقيمه اليوم وننتهي منه. وكدت أنهي جميع ترتيباتي عندما استلم هنري زمام الأمور.

ـ هل سيكون الزفاف في كاتدرائية المدينة؟ سترتدين الساتين وتحملين الزهور إذن؟

ـ لا. الحمد لله أنه كان منطقياً. لكنه رأى أن احتفالاً لا يضم سوانا والقاضي سيبدو وكأننا نخفي شيئاً، لذا أصر على إقامة حفل صغير ودعوة بعض الضيوف.

لم يجب على الفور فنظرت إليه بحيرة. وأخيراً قال: «هذا ليس

صحيحاً تماماً. يسرّني أن هنري استلم المسؤولية، وأعلم أنه يظنها فكرة حسنة. لكنه ليس من أصرّ على ذلك بل أنا الذي أصرّيت».

صدمها ما قاله ما جعلها تفقد توازنها عندما اندفعت السيارة إلى الشارع العام فوضع ذراعه حول كتفيها يسندها.

خلصت نفسها منه وحدقت إليه: «ماذا تعني بقولك إنك من أصرّ؟».

ـ لا تخافي فأنا لا أريد عرساً فخماً وكعكة زفاف ضخمة.

ـ لماذا إذن...؟

ـ لأن نجاح ما نحن مقدمون عليه صعب، فلا ينبغي أن نزيده صعوبة بأن نبدو وكأننا نخجل من الوقوف بين الناس.

ـ حسناً، أظن أن كلامك منطقي. لكن ما زال بإمكاننا أن نقيم العرس اليوم.

ـ أظن أن الانتظار أياماً عدة فكرة حسنة لنرى مدى انسجامنا قبل أن نقدم على أمر يتعذر علينا الغاؤه.

فقالت ساخرة: «لا تكن سخيفاً إذ لا يمكنك أن تتراجع الآن، وأن تعانق تمساحاً أفضل من أن تدع هذه الفرصة تضيع من يدك. وبما أننا ذكرنا العناق...».

ـ دعيني أخمّن. تريدين أن تتأكدي من أنني لن أفسّر ذلك المشهد الصغير الذي حدث بيننا في المطار وكأنه دعوة منك.

حاولت إخفاء ارتياحها: «بالضبط. وإن كنت لم أتوقع منك عدم التفهم، ولكن...».

ـ حسناً، سيكون من السهل أن نتجنب أي مشكلة في المستقبل.

وإذا بصوت السائق يقاطعهما: «المعذرة يا آنسة. هل ما زال علينا أن نذهب إلى فندق «إنغليند»؟

ـ نعم من فضلك.

ونظرت إلى دايڤيد: «يريد هنري أن أجول معك في المدينة ثم أدعوك

على العشاء. يعتقد أننا بحاجة إلى الانفراد ببعضنا البعض».

ـ لا أفهم لماذا.

ـ أوافقك الرأي، لكنني أظن...

فقاطعها: «شكراً جزيلاً، لكنني متعب».

قطبت جبينها بحيرة. لا يبدو عليه التعب. إنه يتحدث كممثل هاوٍ يتلو سطوراً جديدة. ما معنى ذلك؟

لم يكن الوقت متأخراً، لكن الظلام حلّ سريعاً في هذا اليوم الخريفي، وأصبح داخل السيارة معتماً بحيث لم تستطع قراءة التعبير البادي على ملامح دايڤيد.

وكان هو يتأملها بالإمعان نفسه فسألها بلطف: «ما الذي حدث؟ أليس هذا ما تريدينني أن أقوله. فهكذا تعودين إلى البيت وتخبرين هنري أنك بذلت جهدك؟».

ولم يكن في صوته أي حقد.

عادت بأفكارها إلى ما قالته: هنري أجرى الحجز.. هنري رأى... هنري يظن أننا بحاجة إلى أن ننفرد... ننهي العرس...

لا بد أن دايڤيد فهم من كلامها أنها تريد أن ترتبط به تبعاً لرغبة هنري.

توقفت السيارة أمام مدخل الفندق الأمامي ونزل السائق ليفتح الباب. الضوء المفاجىء في السيارة جعل إيڤ ترفع يدها لتغطي عينيها أو ربما لتمنع دايڤيد من أن ينظر إليها عن قرب.

سار السائق إلى صندوق السيارة ليخرج الأمتعة لكن دايڤيد لم يحاول النزول بل قال: «أنت خائفة وهذا هو سبب استعجالك في الزواج، أليس كذلك يا إيڤ؟ لأنك وعدت ولم يعد بإمكانك التراجع مهما رغبت في ذلك. وهكذا، إذا ندمت يكون الوقت قد فات؟».

عضت شفتها وردّت: «هذه خشونة فظيعة».

ـ لكنها صحيحة. هذا هو السبب في تلهّفك للذهاب الآن.

قالت ببطء: «لا. لست كذلك. صحيح أن قضاء الأمسية معاً هي فكرة هنري لكنني أحب أن نتناول العشاء معاً يا دايڤيد».

أتراه صدّقها؟ إنها لا تلومه إذا لم يفعل، فهي نفسها ذعرت قليلاً، ليس بسبب ما قالته، بل لأنها أدركت أنها تعني ذلك فعلاً.

نظر إليها طويلاً ثم خرج من السيارة. وبعد لحظة، سمعت صوت بوّاب الفندق يرحب بدايڤيد بحرارة.

أغمضت إيڤ عينيها. ماذا الآن؟ وقبل أن تفكر في ما ستفعل عاد دايڤيد وأدخل رأسه من السيارة قائلاً: «أرسل البواب أمتعتي إلى الغرفة على أن أسجل اسمي في ما بعد. هل تريدين أن نتعشى في الفندق أم في مطعم؟»

منعها الإجفال من أن تجيب، ومن خلفه قال البواب: «على قائمة الطعام الليلة «بفتيك» لذيذ جداً، كما علمت».

ـ هذا يبدو جيداً يا إيڤ.

نزلت من السيارة ونظرت إلى السائق: «هذا كل شيء. شكراً».

وعندما رأت حاجبي دايڤيد يرتفعان أضافت بهدوء: «لا حاجة الى إبقاء السيارة ساعة أو اثنتين بينما يمكنني أن أعود إلى البيت بسهولة في سيارة أجرة. لذا، لا تخف من أن أتهمك بأنك تقدم لي عشاءً بسيطاً في الفندق لكي يتطور الأمر إلى شيء آخر».

ـ أنا لم أقل أيّ كلمة.

ـ لم تكن مضطراً لذلك. حاجباك ساحران لم أر مثلهما من قبل.

ولأول مرة رأته يبتسم، وبدت البقع الذهبية في عينيه على شكل شرر كما ظهرت غمازة في خده. كان تأثير ذلك على إيڤ مكهرباً وهذا غباء منها طبعاً حيث أن كل ما فعله الرجل هو أنه ابتسم لها ابتسامة عريضة.

حيا المسؤول إيڤ باسمها وقادهما إلى مائدة صغيرة في زاوية مريحة. فجلست ثم شملت القاعة بنظرة سريعة.

ـ هل تتوقعين رؤية أحد؟

ـ لا أحد بالتحديد، بعض الزبائن أو المعارف. عادة، يتواجد هنا نصف دزينة منهم لكنني لا أرى أياً منهم الليلة. وبما أننا متواريان في زاوية، وربما سنبقى في عزلة.

وأخذت تنظر إلى قائمة الطعام لتتجنب النظر إليه: «لا أدري ماذا أقول يا دايڤيد. لا بد أنني اعترضت طريقك مثل...».

ـ التمساح. انسي ذلك ودعينا نبدأ من الصفر. جميل أن أراك مرة أخرى. حدثيني عن العرس.

ـ ظننتك تعلم كل شيء عنه، بما أن إقامة العرس فكرتك. آسفة، لقد فعلتها مرة أخرى، أليس كذلك؟

جاء النادل يحمل زجاجة عصير: «مساء الخير آنسة بيرمنغهام ويا سيدي. طلبت مني مديرة الفندق أن أحضر لكما زجاجة عصير من أفخر ما لديها، مع تحياتها».

فقالت إيڤ: «كان يجب أن أعلم أننا لا يمكن أن نتسلل إلى هنا من دون أن يرانا أحد. لكنني لم أرها».

فقال النادل: «لقد اتصلت من مكتبها. أظن أن البواب يخبرها على الدوام عن القادمين والخارجين من نزلائها».

وفتح الزجاجة وقدمها لدايڤيد.

ما إن ذهب النادل حتى سمّرت نظراتها على العصير في كأسها.

قال: «هذه لباقة منها. هل تفعل ذلك من أجل كل الرجال الذين تخرجين معهم؟».

ـ كلا بالطبع. وهذه ليست لباقة بل عملاً جيداً، فالعرس سيقام هنا في إحدى الصالات الصغيرة في الطابق الأعلى.

ورفعت كأسها لكنها لم تستطع أن تواجه عينيه. وبدلاً من ذلك تركزت عيناها على يديه وأصابعه الطويلة السمراء. كانت أظافره مربعة

ومقصوصة كيلا تضايقه وهو يعمل على المجوهرات الدقيقة الصنع، ورأت على أحد أصابعه أثر جرح صغير. كانت يده تلتف حول الكأس برفق لكنها لاحظت القوة في أصابعه. لم يكن الكأس رقيق الصنع لكنها تصورت أن بإمكانه أن يسحقه بيده كما يسحق حبة عنب.

قالت سيدة بجانبها بصوت حاد ومرتفع: «يا إلهي، أليست هذه إيف الصغيرة؟ ومن هذا بجانبها؟ وجه جديد طبعاً».

ميزت إيف الصوت. لا بد أنها إستيلا مورغان من بين كل الناس. تكلفت ابتسامة وهي تلتفت إلى امرأة قاسية الملامح في أواخر الخمسينات من عمرها وقفت بجانب المائدة رافعة يدها تسوّي معطفها الفرو.

ـ أقدم لك، يا سيدة مورغان، دايڤيد إلبوت الذي انضم إلى مؤسسة بيرمنغهام.

بدا أن اهتمام السيدة مورغان تلاشى، وقالت: «أظنه بائعاً».

تملك إيف الغيظ: «سنجد صعوبة في إبقاء أبواب المتجر مفتوحة من دون موظفي البيع، لكن دايڤيد في الواقع، هو أكثر مصممي المجوهرات موهبة في البلاد. وسيعمل مع هنري ليستلم المتجر منه في النهاية».

بدا الدفء في وجه المرأة: «مصمم؟ ويعمل مع هنري؟ لا أدري إن كان سيسلمه مشروعي الجديد».

فقال دايڤيد: «ربما، وأرجو ألاّ يزعجك هذا. سيبقى هنري المسؤول».

ـ حسناً، طالما أن هنري هو المشرف..

ونظرت إلى يد إيف اليسرى الخالية ثم إلى يد دايڤيد: «ربما من الأفضل أن يسلمك المشروع، فهو سيكون إرثاً عائلياً لابنتي. هذا لا يعني أن ثمة خطأ في تصميم هنري، لكن الشاب يفهم أكثر ما تحبه فتاة في العشرينات».

اشتعل غضب إيف. وقال دايڤيد بلطف: «أول مهامي، على أيّ حال، هو خاتم زواج».

وأمسك بيد إيف ورفعها إلى شفتيه ليقبل مكان الخاتم. تكورت شفتا المرأة: «يا لها من «فرصة» جيدة لك يا إيف! كيف تعرفتما إلى بعضكما البعض؟»

شعرت إيف وكأن الأرض تنشق تحت قدميها. لم تكن مستعدة لمثل هذه الأسئلة، لا سيّما حين توجّه إليها بفضول كبير. وكفّ عقلها عن التفكير. فقال دايڤيد: «عن طريق هنري طبعاً. ماذا غير ذلك؟».

قالت المرأة: «هذا صحيح. كم أنتما متناسبان».

وإستدارت متوجهة إلى الباب.

جلست إيف كما جلس دايڤيد وهو يبتسم: «موهوب جداً يا حبيبتي إيف. حتى هنري قال إنني أحد الثلاثة الأوائل».

تجاهلته إيف: «ما أغرب ألاّ تقول السيدة مورغان لجدي إنه إرث عائلي عندما تحدثت إليه عن المشروع».

ـ ما هو ذلك المشروع؟

ـ لديها خواتم قديمة رثة.

ـ نعم، أخبرني هنري عن ذلك.

ـ حسناً، لقد جمعت هذه الخواتم لتجعلها عذراً كي تتردد عليه مرتين في الإسبوع.

فأجفل: «أتعنين أنها تلاحق هنري؟»

ـ شيء مضحك، أليس كذلك؟ لا بد أنها فهمت أنه غير مهتم بها وبهذا حوّلت اهتمامها عنه.

فتمتم: «يا لي من محظوظ! لكن الحبيبة العجوز نفعتنا بشيء».

ففتحت فمها: «بماذا؟».

ـ جعلتنا ندرك أن علينا أن نواجه عشرين سؤالاً وبسرعة. هل تريدين أن تبدئي أم أبدأ أنا؟.

***

٣ ـ وقعت في الفخ

لقد صدق البواب، لأن «البفتيك» كان جيداً. وكان دايڤيد ليستمتع به أكثر لو لم يكن يحاول أن يسجّل في ذاكرته كل كلمة تنطق بها إيڤ، محاولاً أن يستوعب في هذه الأمسّية وحدها ما يكتشفه إنسان، عادة، في أشهر. لكن، وكما بيّنت السيدة مورغان، سيطرح الناس الكثير من الأسئلة ومن الأفضل أن يجهزا أجوبة مناسبة لها.

ـ كم هو عدد المدعوّين إلى العرس؟

بدا عليها الارتباك وكأن هذا لم يخطر في بالها: «من الغباء أن أقول إنني لا أعلم، لكن هنري طمأنني إلى أن العدد قليل، فلم أحاول أن أتدخّل. لماذا؟».

ـ يبدو لي أن السيدة مورغان من محبات الأقاويل، ولهذا أدهشني أنها لم تسمع الخبر. إلا إذا كان هنري يكتم الأمور. أتريدين حلوى؟

فهزت رأسها. ولاحظ ظلاً خفيفاً تحت عينيها: «أنت مرهقة».

ـ شعرت لتوّي بصداع.

ـ أنت أيضاً؟ لا عجب بعد أن كان علينا أن نحشو دماغينا الليلة بكل تلك الأمور. هذا يذكرني بالامتحان النهائي في الكلية. يكفي لليلة واحدة، سنبدأ الامتحان غداً.

وأشار إلى النادل طالباً الحساب، فانتصبت جالسة: «أعطني الحساب، فأنا التي دعوتك».

فقال وهو يخرج محفظته: «لا، الدعوة ليست منك. قلت إنها فكرة هنري».

- كانت كذلك، ولكن...

وابتسمت فجأة، فرأى المكر في عينيها فأجفل متوقعاً المتاعب.

- فلنضفها إلى حساب هنري، فهو يستحق ذلك.

- لا شك في ذلك، ولكن يكفي ما أدين به له.

ودفع الحساب: «سأوصلك إلى بيتك».

- لا تكن غبياً فالبيت قريب والبواب يحضر لي سيارة أجرة دوماً.

ليس في وجودي، هذا ما خطر له، لكنه لم يجادلها بل سار معها إلى مدخل الفندق.

عندما صفر البواب لسيارة الأجرة، التفتت إلى دايڤيد: «شكراً على العشاء وعلى كل شيء».

ساعدها على الصعود إلى السيارة وجلس بجانبها، فالتمعت عيناها: «لا أدري ما قصدك من هذا، ولكن...».

- قصدي لا يهم، بل ما يظنه البواب هو المهم. هل نسيت أنه يبلّغ كل ما يراه للمديرة؟

- وماذا في ذلك؟

- وأظنه يبلّغها أحياناً بما لا يراه. وهكذا، إما أن تعانقيني هنا بينما يتظاهر هو بأنه لا يرانا، وإما أن تدعيني أذهب معك إلى بيتك فيتصوّر ما يشاء. أما ما ليس بإمكانك أن تفعليه فهو أن تصافحيني وتتمني لي ليلة سعيدة.

- أظنك على حق.

- تظنينني؟

- لا بأس. لكنني أعترض على هذه المعاملة الخشنة في المقعد الخلفي من سيارة أجرة لكي نقنع البواب.

- غريب. لم أتكلم عن معاملة خشنة في المطار.

وهذا أحد الأسئلة التي سيواجهانها الليلة. من كان ذلك المتأنق الوسيم في المطار؟ ولماذا كانت إيف متلهفة لأن تقنعه بأنها غارقة في حب دايڤيد؟

كان البيت قريباً فعلاً من الفندق. وطلب دايڤيد من السائق أن ينتظره ثم سار معها إلى الباب. وفيما هي تفتحه، وقف يجيل نظراته في المبنى المشيّد بالآجّر القوي والمؤلف من إثني عشر طابقاً. لم يكن المبنى جديداً ولا ملفتاً.

قالت: «أنت مدهوش لأني أسكن هنا، ولا تزعج نفسك بالإنكار لأنني أرى ذلك في طريقتك برفع حاجبيك. لماذا صدمك هذا؟ ألأنه ليس متألقاً ولا فخماً؟».

- لست مصدوماً بالضبط، لكنك قلت شيئاً عن العيش في منزل واحد.

قطبّت تحاول أن تتذكر: «حسناً، أظننا سنحتاج إلى ذلك يوماً ما، وأظنك تريد أن تبدي رأياً في المكان الذي سنعيش فيه».

- هذا لطف منك، إلى اللقاء غداً.

بقي أثناء رحلة العودة صامتاً يفكر في الحديث الذي دار بينهما والذي لم يدر، متذكراً ابتساماتها له.

الانسجام بينهما سيتطلب وقتاً، طبعاً. فالشهر الذي أمضاه في أتلانتا لم يخفف الصدمة كما يتوقع. حتى وهو يستقيل من عمله، وينظف شقته ويبيع سيارته ويقفل حسابه في المصرف، لم يكن موضوع بدء حياته من جديد في شيكاغو يبدو له حقيقياً تماماً.

اليوم فقط، عندما سار في المطار ورأى إيف، واجه الحقيقة. وبعد فترة قصيرة تلقى ضربة ثانية عندما ألقت بنفسها بين ذراعيه هامسة: «عانقني». ومن ثم بدأت الأمور تصبح ممتعة.

لكنه عاد يأمر نفسه بأن ينسى ما حصل، لأن هذا آخر ما عليه أن يفكر فيه حالياً.

غداً، هو يومه الأول في «متجر بيرمنغهام». وسيكون أمامه موضوع أهم من تلك الحادثة الصغيرة في المطار ليفكر فيه.

حتى أنه لم يدرك أن يده انزلقت بسهولة من على كتف إيف إلى خصرها... حتى سمع تعليق تلك القطة العجوز القذرة بجانبهما، فعاد إلى رشده ليكتشف أنهما وسط مطار «أوهير».

المهم هو أن إيف لم تغضب منه لأنه لمسها بهذا الشكل الحميم. إذا كانت تظن أن العناق في مقعد سيارة الأجرة الخلفي خشونة... فهل كانت في المطار من الانشغال بذلك الشاب الوسيم بحيث لم تلاحظ أم أنها لاحظت ما فعله لكنها لم تهتم؟.

أيّ من الحالتين لا يرضي كرامته... لكن الكرامة ترف لا يمكن أن يسمح لنفسه به حالياً.

قبل أن ينزل من الطائرة، كان كل شيء يبدو مفهوماً معقولاً وعملياً. أما الآن...

ماذا قالت له إيف الليلة؟ (أن تعانق تمساحاً أفضل من أن تدع الفرصة تفلت منك). وبدأ يشعر بأنه يغوص في مستنقع...

* * *

لو أن القرار تُرك لإيف لما أزعجت نفسها بالتجهيز لعرسها. ولما اشترت ثوباً جديداً ولما سرّحت شعرها حتى أنها ما كانت لتعاود طلاء أظافرها.

لكن هذه التفاصيل بدت ضرورية لهنري، الذي استأجر جناحاً ثانياً في الفندق لكي ترتدي ملابسها فلا تجعّدها في سيارة الأجرة.

وماذا يهم في الحقيقة؟ لقد وصلت إلى هذه المرحلة، وبإمكانها أن

تخضع لما يريده وتقوم بما يطلب منها حتى النهاية، رغم أنها لا تريد عروضاً تظهر فيها المبالغة والنفاق. بإمكانها أن تتمسك بمبادئها من دون أن تؤلم جدها.

كانت قد انتهت من ارتداء ثيابها ووقفت أمام المرآة المستطيلة ترش العطر على شعرها، عندما قرع جدها الباب: «كاد الوقت يحين يا إيف».

فتحت الباب وتراجعت تعرض نفسها عليه: «ما رأيك؟».

نظر إليها متفحصاً من رأسها حتى قدميها: «بصراحة، تملكتني خيبة الأمل حين أخبرتني أنك سترتدين بذلة بدلاً من ثوب الزفاف التقليدي. وفكرت في البذلات التي ترتدينها في المحل».

وهكذا فعلت أنا، كما خطر لإيف. أرادت أن تشتري بذلة كلاسيكية حسنة التفصيل واللون، يمكنها أن تضيفها إلى الملابس التي ترتديها في المتجر. وفي الواقع، هذا سبب ذهابها إلى التسوّق، لكن لم يكن هذا ما اشترته. ولا عجب إن أجفل هنري لأن إيف نفسها ما زالت مدهوشة قليلاً لما عادت به إلى البيت.

من الأمام، كانت بذلتها لتبدو عادية لو أنها ليست بيضاء فضية ومحكمة على الجسم ولو لم تكن فتحة العنق منخفضة جداً. لكن من الخلف...

ونظرت إيف من فوق كتفها إلى ظهر البذلة في المرآة. كان الظهر عبارة عن قطعة من الدانتيل من دون بطانة.

قالت وهي تسوّي عقدها اللؤلؤي: «أرجو أن تكون قاعة الرقص دافئة. بقي أن أضع القرطين لأصبح جاهزة».

شعرت بانقباض في صدرها وكأن سترتها ضاقت عليها. وأخرج هنري علبة مخملية من جيبه: «هدية للعروس. فكرت في صنع قرطين لك، لكنني رأيت أنك تحتاجين إلى شيء قديم تلبسينه على أيّ حال».

فكرت إيف في أنه لا يريد أن يحجب الأضواء عن دايڤيد أو يجعله

يشعر بأنهما متنافسان.

كانت العلبة صغيرة. ومع أنها تحمل شعار بيرمنغهام، إلا أن لون المخمل كان أخضر بدلاً من لونهم التجاري أيّ الأصفر، ما جعل العلبة من عمر إيف تقريباً.

فتحت العلبة فرأت لؤلؤتين كبيرتين تحيط بهما ماسات صغيرة مثلثة الشكل: «إنها رائعة يا هنري».

ـ إنها لجدتك وقد صنعتها لها في عيد زواجنا الخامس والعشرين.

ـ لكن من المفروض أن تكون اللآلىء للعيد الثلاثين بينما الماس...

كانت تمزح لكنها رأته يكتئب بسرعة فسارعت تقول: «آسفة، يا هنري».

ـ أنا مسرور لأنني أعطيتها إياهما حين كان ما زال بإمكاني ذلك. ستكون سارة مزهوة وهي تراك تتزينين بهما اليوم. إيف، أعلم أنكما، أنت ودايڤيد، اختلفتما قليلاً هذا الأسبوع.

ـ اختلفنا قليلاً؟

ووضعت أول قرط ثم أردفت: «منذ أشهر وأنا أعمل على حملة الإعلانات تلك».

ـ لقد تحمس قليلاً حين وضع إصبعه على نقطة الضعف فيها. رغم أنه بالغ حين اقترح علينا التوقف عن العمل مع الوكالة.

بدا أنه يحاول أن يكون عادلاً فلم تعبأ بالرد عليه.

ـ ما رأيك فيه حقاً يا إيف؟

كادت ترد بسخرية، متصنعة المشاعر المحمومة، وأنها غارقة في الحب بجنون، لكنها لم تستطع أن تسخر من جدها: «يبدو جديراً بالثقة».

كان هذا مديحاً بسيطاً، لكن الارتياح بدا على وجه هنري: «وهذا أمر هام بالنسبة إليك بعد... ما حدث السنة الماضية».

ـ لن أنهار إذا ذكرت اسم ترافيس يا هنري.

ـ أعلم أن كل ذلك انقضى، ولن أذكره مرة أخرى... لكني أردت أن أبدي إعجابي البالغ بالقرار الذي اتخذته، وبالشجاعة التي تحليت بها حين أدرت ظهرك لما تريدينه، لأنك أدركت أنه لن يشرّفك. كنت على صواب. كل حيانك كانت ستتأثر سلباً لأنه عديم المسؤولية ولأنه غير جدير بالثقة.

ـ أنت تعلم أن ما حدث لم يكن ذنب تراڤيس. لقد سيطرت عليه قوى خارجة عن سيطرته، مثلي أنا تماماً.

هز هنري رأسه لكنه لم يجادلها.

ـ أنت وجدتي كنتما سعيدين، أليس كذلك؟

ـ نعم، كنا كذلك.

ـ لكنكما لم تكونا مغرمين للغاية ببعضكما البعض.

فقال ببطء: «لا. لا يمكنني أن أقول إننا كنا كذلك. لكن، ذلك الغرام العنيف لا يدوم كما تعلمين».

ـ بينما الثقة تدوم.

فقال بهدوء: «وهي مريحة أكثر، أيضاً».

أغمضت عينيها لحظة وتنفست بعمق، ثم ابتسمت له:

ـ حان وقت الذهاب، يا هنري.

* * *

عندما وصلا قاعة الرقص، رأت دايڤيد يتسكع عند الباب. كانت بذلته سوداء فيما حمل باقة ورد صغيرة في يده.

سألته: «هل هذه لي؟».

نظر إلى الورود وكأنه نسيها، ثم هز كتفيه: «لا بد أنها كذلك. لم أر غيرك تدخل وهي تبدو عروساً من بعيد، ولهذا أظنها لك».

بدا شارد الذهن. لكن إيف ظنته يتأمل بذلتها فشعرت بالرضا مع أنه

لم ير ظهر البذلة بعد.

قال بهدوء: «أراك خضعت لفكرة الثوب الساتين الأبيض. ربما كان علي أن أحضر زهور برتقال بدلاً من الورد».

تملكتها خيبة أمل غامضة لأنها أسأت فهمه. فقالت بشيء من الضيق: «لبست الأبيض لأنه أحد الألوان التي أحبها. هل ارتحت؟».

ـ حسناً، يا حبيبتي. هل لنا بدقيقة على انفراد، يا هنري؟

وقاد إيف مسافة ثم وقف بعيداً عن مرمى السمع: «ما دام اللونان الآخران اللذان أحبهما هما الأسود والأحمر، وجدت أنّ من الأفضل أن أرتدي اللون الأبيض لأنني إما سأبدو أرملة بالأسود وإما موموساً بالأحمر...».

لم يبد عليه الإصغاء بل راح يتأملها بإمعان. وكفّ قلبها عن الخفقان: «ما الأمر؟».

فقال: «إنها فرصتك الأخيرة لكي تتراجعي عن هذا الأمر».

تملكها الاضطراب: «إذا كان ما تقوله يعبّر عن رغبتك أنت في التراجع، فلا تحمّلني المسؤولية بل عليك أن تطلب هنري ايقاف حفل الزفاف».

ـ ليس هذا ما أعنيه. أردت فقط أن أتأكد، إذا كنت تشعرين بأنك وقعت في الفخ، فأنت لست مضطرة للمضي قدماً وسأتحمل أنا اللوم».

وتملكها الفضول. هل هذه شهامة الرجل الغريزية أم أنها الرغبة الأخيرة في استرجاع الحرية؟

ـ ماذا ستفعل إذا تراجعت عن قراري، يا دايڤيد؟

وظنت لحظة أنه لن يجيب.

ـ أنا واثقة من أنني سأجد حلاً ما. هيا، قولي يا إيف ماذا تريدين؟

ـ ماأردته دوماً، وهو أن أرضي جدي.

فناولها الورود: «أراك في الداخل إذن».

ثم توارى داخل القاعة.

ورغم أن قاعة الرقص هي الأصغر في الفندق، إلا أنها الأجمل. رأتها إيف أشبه بكعكة زفاف بأعمدتها المنتشرة في كل مكان وسقفها المزخرف.

كانت القاعة مليئة بالناس إذ يبدو أن رغبة هنري في جعل الحفلة صغيرة لم تكن بقدر رغبة إيف. وعندما وقفا في الباب، هدأ الناس ثم تفرقوا. وفي آخر القاعة رأت دايڤيد واقفاً مع القاضي ينتظران.

كان الاحتفال قصيراً، ومع ذلك بقي ذهنها شارداً. بدا صوت القاضي عميقاً رتيباً تقريباً. وكانت تشتم رائحة الورود ولا تزال تشعر بحرارة يد دايڤيد حين وضع الباقة بين يديها.

تساءلت عن الأفكار التي تراوده الآن. ابتهاج؟ انتصار؟ خوف من الفشل؟ لا بدّ أنّ التحدي الذي ينتظره في ملء فراغ هنري يقلقه، رغم موهبته الكبيرة...

طلب القاضي الخاتم فمد دايڤيد يده إلى جيبه، وتملك إيف شعور غريب، هو مزيج من التوجس والفضول. كان قد قال لإستيلا مورغان إن أولى مهماته هي خاتم الزواج. لكنه أمضى معظم اسبوعه الأول في «متجر بيرمنغهام» وهو يخرج أدواته من حقيبته الرثة ويحضّر مكان عمله في زاوية من الطابق الثاني غير بعيد عن مكان هنري. أرادت مرات عدة أن تسأله عن الخاتم، لكنها تمكنت من كبح رغبتها تلك. ستعرف قريباً ما إذا التزم بطلبها أم صنعه بحسب رغبته هو، ولم يكن ثمة فائدة من استعجال الأمر قبل الزفاف، لأن السؤال لن يفيد في تجنّب عدم الاتفاق. إذا لم يعجبها الخاتم فسترفض، بكل بساطة، قبوله.

لم تفكر في الأمر كثيراً، حين طلبت منه ذلك «المحبس» البسيط. فإعلام مصمم مجوهرات بأنها لا تحتاج لخبرته ومهاراته في صنع خاتم الزفاف، هو كإعلام أفضل بائع أزهار في العالم أنها تفضّل الأزهار

الاصطناعية لأنها أطول عمراً من تلك الطبيعية.

خطر لها أنه قصد أرخص متجر للمجوهرات واختار أرخص «محبس» لديهم في المخزن.

إذا كان هذا ما فعله فهو يفسر عدم استعجاله في تحضير مكان عمله.

وهي حقاً لا تلومه. فلماذا يضيّع وقته الثمين بعد أن أخبرته بأنها لن تقدّر عمله؟

لم تنظر إلى الخاتم وهو يلبسها إياه. لم يكن خفيفاً ولا ثقيلاً، وشعرت به دافئاً وهو يستقر في إصبعها.

لم يكن قد سألها عن قياس إصبعها ولا بد أن هنري أخبره. ثم انتهى عقد القران المختصر، وقال له القاضي باسماً: «يمكنك أن تعانق العروس».

رفعت رأسها متوقعة عناقاً سريعاً، لكن حين أحاطها بذراعيه، كاد الذعر يمتلكها وهي تتذكر عناقهما في المطار. لن يكرر ذلك مرة أخرى، خصوصاً أمام الناس...

لم يكن عناقه عفوياً كما لم يكن حميماً إلى درجة مزعجة. لكنه سبب لها الاضطراب نفسه الذي شعرت به في المطار. بدا وكأنه من دون نهاية، لكن، عندما تركها واستدارا يحييان الضيوف الذين سارعوا للتهنئة، شعرت وكأنه لم يدم سوى لحظات.

جاهدت إيف لكي تبدو عروساً سعيدة وهي تتلقى العناق والتمنيات الطيبة من كل ناحية، فيما ابتعد هنري ليمسح دموعه خفية عن أعين الفضوليين.

أسرعت إليها مجموعة من النساء يعملن في «متجر بيرمنغهام»: «نكاد نموت شوقاً لرؤية خاتمك. لم يره أحد منّا بعد».

ورغم أن فضول وتوجّس إيف أصبحا كعاصفة هوجاء في الدقائق التي تلت وضع دايفيد الخاتم في إصبعها، فقد شعرت وكأنها لا ترغب في نقل

باقة الورود من يدها لكي يرين الخاتم. شعرت بأنها تريد أن تهرب من هذا الحشد لكي تراه هي أولاً، رغم حماقة هذه الفكرة... لكن، إذا كرهت الخاتم، فماذا ستفعل؟ ترفض أن تريه لأحد؟

أمالت يدها تختلس نظرة إليه. كان الخاتم من البلاتين حسب طلبها تماماً. لم يكن يحمل أحجاراً كريمة أو زخارف تافهة، كما طلبت بالضبط.

لكن رغم التزامه بشروطها إلا أنه نقضها أيضاً، فبساطة الخاتم جعلته ملفتاً للنظر أكثر من كل المجوهرات التي رأتها إيف.

وبدلاً من الخاتم البسيط الذي طلبته، إذا بهذا الخاتم يستقطب الأنظار!

كان أعرض من المعتاد وحافتاه مائلتين مشطورتين، بدلاً من أن تكونا مستديرتين. كان المعدن منحوتاً بحيث يعكس الضوء كيفما حركت يدها، فبدا تقريباً وكأن الخاتم منحوت من حجر كريم.

مدّت يدها فتحلقت الموظفات حولها، ثم نظرت إحداهن إليها وقالت باستياء: «لكنه بسيط وعادي».

انتهى هنري من مسح دموعه فنظر إلى الموظفة وقال: «هذا لا يسمّى عادياً. إنه تصميم جيد ومميّز».

وأمسك بيد إيف يحركها في كافة الاتجاهات مظهراً تلاعب الضوء على البلاتين: «هذا كلاسيكي. وسيأتي الناس إلى المتجر للتفرج عليه».

كانت إيف قد قالت لدايفيد إنها لا تريد أن تكون لوحة إعلانات تسير على قدمين، وظنت أنها أبلغته بشروطها التي تضمن لها ذلك. لكن رغم أن دايفيد نفّذ لها طلبها بالضبط، إلاّ أنه حصل هو أيضاً على ما يريد، واستطاع أن يحوّلها إلى لوحة دعاية لعمله.

وقال هنري: «لكننا لم نسمع بعد الرأي الذي يهمنا حقاً. ما رأيك يا إيف؟»

ـ أظن أن الرجل نابغة.

قالت هذا بما استطاعت من مرح. ورأت جدها يتأملها طويلاً فسارعت تقول: «أظن أن الجميع ينتظرنا على العشاء».

كان الضيوف يتوجهون إلى قاعة طعام مفتوحة الأبواب، ومفروشة بموائد تحمل أطيب المقبلات. لكن لم يجلس أحد بعد.

وأثناء توجههما إلى القاعة اعترضتهما مديرة الفندق واحتضنت إيف: «لن أستطيع حضور الحفل لانشغالي هذه الليلة. لكنني أريد أن أقدم لك أطيب تمنياتي وأخبرك عن مدى جمال حفلة العرس. أين ستذهبان في شهر العسل؟».

خطر لإيف أنه كان عليها أن تتوقّع مثل هذا السؤال: «لن نذهب في شهر عسل، لأن دايڤيد متلهف لبدء العمل في المتجر».

فقالت المرأة ذاهلة: «أتعنين أنكما ستمكثان في البيت؟»

ـ نعم.

وشعرت بابتسامتها تتلاشى فتدخل دايڤيد: «ذهابنا إلى بيتنا معاً هو شهر عسل، لكننا سنسافر في ما بعد، ربما إلى هاواي أو جزر الكاريبي».

أو إلى حيث يعقد اجتماع لصانعي المجوهرات، كما فكرت إيف.

ضاقت عينا مديرة الفندق ولم تقل شيئاً. ورأتها إيف تهز رأسها وهي تبتعد.

وضع دايڤيد يده على ظهرها يقودها إلى المائدة الرئيسية فأحرقتها حرارة يده. لعل بذلتها هذه لم تكن فكرة حسنة!

تمتمت: «بالمناسبة، نسيت أن أخبرك أنني حساسة جداً على أشعة الشمس».

وقف ونظر إليها: «أتعنين أنّ لديك حساسية؟ كيف يمكن للإنسان أن يكون حساساً على أشعة الشمس؟».

ـ ليست حساسية مرضية بل مجرد نفور. وبما أننا في فصل الشتاء لم

يخطر لي أن أخبرك بذلك. لا تذهل هكذا فحالتي البسيطة هذه لا تمنعك من أن تكون من محبّي أشعة الشمس إذا شئت. المشكلة هي أنّ الزيت الواقي من أشعة الشمس لا يحميني من الحروق...

ـ لذا، فإن الاستلقاء على الشاطىء هو آخر ما قد تختارينه لشهر العسل.

ـ نعم. لم أدرك طبعاً أنك كنت جاداً في كلامك عن السفر، لكن أصدقائي يعلمون كم أنا حريصة لعدم التعرّض لأشعة الشمس. لذا، إذا ذُكر الموضوع مرة أخرى، فربما عليك أن تختار مكاناً آخر لشهر العسل.

ـ ما الذي تقترحين أن أقوله؟ إننا سنذهب إلى الساحل الشمالي في غرينلاند؟ أو ربما يمكنني أن أقول إنني ما دمت مصمماً على ألا أدع عروسي تخطو خطوة واحدة خارج غرفة النوم، فلا يهمني المكان الذي سنذهب إليه.

فقالت هازلة: «لماذا إذن نضيع ثمن تذاكر السفر سدى؟».

لمعت عيناه وقال: «وكذلك الوقت. فكّري فقط في ما سنفعله بدل ساعات السفر التسع أو العشر إلى هونولولو».

وسكت.

كان النادل قد أنهى لتوّه تقديم الطبق الرئيسي، عندما عادت مديرة الفندق ومالت من فوق كتف إيف سائلة: «هل تركت شيئاً في جناحك؟».

ـ طبعاً. علبة الزينة، البذلة التي كنت أرتديها، وبعض المجوهرات. هل اقتحم أحد المكان؟

بدت المرأة مذعورة نوعاً ما: «سرقة في فندق «إنغلند»؟ كلا طبعاً! كنت فقط أتساءل عما إذا عليّ أن أطلب حزم أغراضك ونقلها».

ـ نقلها إلى أين؟

فتابعت المرأة: «وأنت يا دايڤيد كنت تنزل في الجناح الثاني عشر، أليس كذلك؟ هل ما زالت أمتعتك هناك؟».

فأومأ دايڤيد بالإيجاب.

ووضعت بينهما مفتاحاً نحاسياً: «ستنتقلان إلى جناح العرائس لقضاء العطلة الأسبوعية على حسابي».

فتحت إيڤ فمها ونظرت إلى عيني دايڤيد، ولكنها لم تقل شيئاً... وماذا تقول؟ هل تقول إنها آسفة وإن عليها أن ترفض لأنها لم تحضر معها ثياب نومها القطنية؟

لا، فالعروس لا ترفض مثل هذه الضيافة الكريمة، حتى ولو كان هذا آخر ما تريده في العالم.

***

٤ ـ جناح العرائس

كان المصعد الذي يؤدي إلى جناح العرائس خاصاً، وهو صغير الحجم وأنيق للغاية. وشعرت إيڤ بأن ثقل الصمت فيه أشبه بالضباب الذي يغطي أحياناً البحيرات.

قالت: لو أننا محظوظان لكان هذا الجناح مشغولاً. أعني ما أغرب أن يكون أكثر أجنحة هذا الفندق شعبية غير مشغول طوال العطلة الأسبوعية!».

ـ أظن أنه من عدم التهذيب أن نتجاهل هذا العرض، فنحمل أمتعتنا ونرحل.

فأومأت: «لا أظنني أخبرتك أن اليزابيث ليست فقط مديرة هذا الفندق بل هي أيضاً أفضل زبائننا. هل لاحظت الحلية التي تتدلّى من سلسلتها؟»

ـ حجر الأوبال الأسود الإجاصي الشكل الذي يزن تسعة قيراطات تقريباً؟ نعم، لاحظته..

ـ إنه طلب خاص بمناسبة عيد زواجهما. لقد أمضى هنري سنة تقريباً حتى وجد ما يعجبها.

ـ من الصعب العثور على حجر أوبال بهذا الحجم وبتلك النار الرائعة التي تنتشر فيه. أنت محقة، من الواضح أنها ليست الزبونة التي يجب أن نغضبها.

وقف المصعد فنظرا إلى الردهة الصغيرة التي لا تضم سوى باب

واحد، وفتح دايڤيد الباب.

رأت غرفة واحدة فسيحة، تقسمها الأعمدة والجدران النصفية إلى أجزاء. وعند الباب، رأت غرفة جلوس صغيرة تحتوي على أريكة وتلفزيون. وفي الناحية الأخرى من جدار منخفض لاحظت السرير المزدوج. سرير واحد طبعاً، لكنه لم يكن بشكل القلب. وعبر باب بجانبه رأت حافة حوض استحمام أبيض ناصع.

وبجانب غرفة الجلوس، قام مطبخ صغير ذكّرها بطفولتها. وسارت إليه لتراه عن قُرب.

ـ أظن أنّ من يمكثون هنا لا يطبخون كثيراً.

وأدركت، بعد فوات الأوان، أن جواب كلامها واضح، فهم يشبعون من نواح أخرى. وشجعت نفسها على سماع المزيد من دايڤيد.

لكنّه، وبدلاً من ذلك، قال وقد بدا واضحاً أنه يبذل جهداً ليبدو بشوشاً: «هذا ليس سيئاً أبداً، فقد عشت في شقق أصغر منه».

ـ وحدك طبعاً؟

وشعرت بأنها احمرّت خجلاً لهذا السؤال فأضافت بسرعة: «أعني، لم أكن أسألك إذا عشت مع أحد. فهذا ليس من شأني، حتى لو كان لديك عشر عشيقات..».

بدا عليه التفكير: «ربما أقل من عشرة. على الأقل، لا أتذكر أنهن كن بهذه الكثرة، رغم أنّ من بينهن اثنتين لم تكونا من الأهمية بحيث أتذكرهما».

ـ هذا غريب. ربما عليك أن تعدّهن كل ليلة كما تعد الغنم لتدريب ذاكرتك. ولكن لا تعطني القائمة، اتفقنا؟ لا يهمني ما حدث في ماضيك.

قالت هذا وهي تعلم أنه ليس صحيحاً تماماً. يا لهذا الغباء! فهي حتى الآن، لم تفكر في ماضيه. حتى ذاك العناق الملتهب في المطار لم يجعلها تفكر في ماضيه، رغم أنه ما كان ليتعلم ذلك في كتاب مدرسي.

رجل مثل دايڤيد... لم تصدق كيف ظنت في البداية أنه مجرد رجل حسن الشكل. فهو وسيم وموهوب وطموح وذو رجولة صارخة... وحدها الغبية تظن أنه لم يعرف نساءً في ماضيه.

أو ربما امرأة معيّنة!

ولسبب ما، أثارت تلك الفكرة اضطر بها أكثر من فكرة العشيقات العشر. ربما ترك امرأة ما من أجلها هي، إيڤ... أو على الأصح من أجل الفرصة التي قدمها له هنري. امرأة كانت أقل أهمية عنده من «متجر بيرمنغهام».

لكنها لا تملك دليلاً على ذلك، لذا لا فائدة من التفكير فيه. وحتى لو صحّ ذلك، فلم يعد لتلك الامرأة أهمية، كما حدثت نفسها بحزم. فقد شرعت بمغامرة جديدة مع دايڤيد، وما حدث لأي منهما في الماضي غير مهم، ولا يستحق السؤال. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها كلياً من التساؤل.

* * *

كل هذا أكثر بقليل مما توقع، كما خطر لدايڤيد. أن يمضي العطلة الأسبوعية في جناح العرائس لم تكن فكرته كما أن إيڤ من التوتر بحيث لم تجلس بعد... ما هي مشكلتها، على أيّ حال؟ هل هي خائفة من أن ينسى، في هذه الشقة الصغيرة، أنها ليست واحدة من عشيقاته العشر؟

إذا أرادت أن تجول في الجناح طوال الليل فهذا حقها، أما هو فسيرتاح.

سار في الجناح وفتح خزانة الثياب. عندئذ، أدرك مدى غبائه. لا عجب أن توترت بهذا الشكل، فقد أدرك السبب في ذلك. ففي ناحية من الخزانة، صف أنيق من بذلاته وقمصانه وملابسه العادية المريحة، أما في الناحية الأخرى فوجد علاّقتين فقط، واحدة تحمل تنورة طويلة والثانية

قميصاً. هذه هي الملابس الوحيدة لها بالإضافة إلى البذلة التي ترتديها.

قال: «أظنك سترتاحين أكثر إذا بدلت بذلتك هذه».

وقفت فجأة وقالت بحذر: «هذا يعتمد على الظروف».

ـ تباً يا إيف، فأنا لا ألقي ملاحظة عابرة بل أقدم لك ثياب نوم.

وفتح الأدراج حيث وضعت الخادمة بقية ملابسه وألقى إليها ببيجاما زرقاء: «خذي، وسواء استعملتها أم لا فهذا لا يهمني. سأذهب لأغير ملابسي وبعدئذ يمكنك أن تحبسي نفسك في الحمام بقية الليل إذا شئت».

نظرت إلى البيجاما وقالت: «تبدو هذه جديدة يا دايڤيد».

ـ بما أننا سنتشارك في السكن من الآن وصاعداً، فقدتشعرين براحة أكبر إذا لم أعتمد ملابسي الليلية المعتادة.

أصبح وجهها شديد الاحمرار. لا عجب في أن التعرض لأشعة الشمس لا يناسبها، فهذه البشرة الناصعة البياض ستصبح بلون سرطان البحر.

قالت بهدوء: «شكراً».

لبس بنطلوناً وقميصاً مقفلاً، وفيما كان يعلق ملابسه، اختفت هي في الحمام. سمع صوت الباب يُقفل فهز رأسه. كان قد قطع لها عهداً، لكن ما كان لها أن تزعج نفسها. فأي نوع من الرجال تظنه؟ لكن لو أراد دخول الحمام وهو ليس بحاجة إلى ذلك الآن، فإن ذلك القفل الضعيف لن يمنعه.

جلس على الأريكة أمام التلفزيون وجهاز التحكم عن بعد في يده. لا بد أن التلفزيون يعرض ما يستحق المشاهدة، هذا إذا أزعج أحدهم نفسه ببرمجة جهاز الإستقبال.

وكان يفكر في مشاهدة فيلم قديم عندما سمع طرقاً خجولاً على الباب، فقطب جبينه وسار إليه.

سلّمه الخادم صندوقاً مسطحاً: «هذا للسيدة إليوت».

السيدة إليوت... سيمضي وقت قبل أن يعتاد على هذا الإسم.

نظر إلى العلبة وكانت مغلفة بورق ثمين، وخفيفة الوزن للغاية.

ثم سار إلى باب الحمام يقرعه: «وصلت علبتك».

ساد الصمت، وكان قد بدأ يظنها نائمة حين أجابته: «لم أكن أتوقع وصول أيّ علبة كما تعلم».

ـ حسناً، إنها لك... وهي، بحسب ما هو مذكور على البطاقة، من محل «ماي لا يدي لانجري» للملابس الداخلية.

ـ آه، إنها من...

حمل صوتها ما يشبه الخيبة، وما لبثت أن فتحت الباب.

كانت في حوض الإستحمام على ما يبدو من رغوة الصابون فيه وحول وجهها، وقد ارتدت معطف حمام واسعاً أبيض فيما بدأ شعرها المرفوع يفلت ويتبلل.

حاول ألاّ ينظر إليها وهو يناولها العلبة، فحدقت إليها وإليه بارتياب: «لا أدري كيف وجدت الوقت لذلك».

ـ من؟ مديرة الفندق؟

سألها وقد منعه الفضول من أن يبتعد فيما رفعت هي الغطاء. ومهما كان في العلبة فقد كان مغلفاً بورق شفاف ويعلوه مغلف فتحته أولاً ثم هتفت بارتياح: «إنه من الموظفات في متجرنا. لا بد أنهن اشترين الهدية ثم قررن إرسالها إلى هنا بعد أن عرفن بوجودنا في هذا الجناح. هذا لطف منهن، ولكن...».

ووضعت البطاقة على العلبة وكأن الأمر انتهى عند هذا الحدّ.

ـ عليك، على الأقل، أن تري ما أرسلنه لك.

ـ هذا ليس ضرورياً لأنني أعرف ما هو، ولا أظنك دخلت ذلك المتجر وإلا لما سألت.

ـ لا تكوني واثقة بهذا الشكل من أنني لم أدخله. إنه يبيع ملابس

داخلية مثيرة . . . لكنني أعتقد أنهن لا يتوقعن منا أن نخبرهن بأننا لم نعبأ بالهدية. أعني في شهر العسل من يحتاج إلى إثارة. . .

فقاطعته: «ما دمت تصرّ. . .».

وأخرجت من العلبة قطعة دانتيل بيضاء رفعتها أمامها.

وجد نفسه ينظر إلى قميص نوم ناعم كخيوط شبكة العنكبوت وشفاف بحيث رآها من خلاله بوضوح. ليتها تلبسه بدلاً من أن تحمله بعيداً عنه! . . .

ما كان يحتاج لتشغيل مخيلته، فالهدية أشبه بعبوة معدّة لكي تنفجر.

لم يدرك أنه صفّر بصوت خافت إلا حين رأى عينيها تظلمان وسمعها تقول باستياء: «ما هو إلا قميص نوم بحق الله».

إلاّ قميص نوم؟ يا لها من مجنونة!

- إنه جميل لكنه غير عمليّ.

وجاءه صوتها وكأنه من مكان بعيد، فيما تابعت تقول: «تتجمد المرأة من البرد في ثوب كهذا، وشراؤه حماقة كبرى وإضاعة للدانتيل الثمين، أليس كذلك؟»

ورفعت الثوب بيدها قائلة بارتياب: «دايڤيد؟»

وكان هو يفكر في أن تجمد المرأة من البرد في هذا الثوب غير محتمل إذا عرف الرجل كيف يبقيها دافئة. وانتبه لسؤالها الأخير: «طبعاً، إنه إضاعة مؤكدة ولكن ليس للدانتيل لأن كميته أقل من أن يهتم المرء بها».

أعادت القميص إلى العلبة: «شكراً لأنك أحضرته لي».

وأدرك أنه ما زال يسد الباب فابتعد بسرعة. ولم يدرك أن حرارة الحمام الرطبة أثرت فيه فلم يعد يستطيع التنفس بسهولة إلا بعد أن عاد يستلقي على الأريكة.

رأى أنها على صواب في أمر واحد وهو أن الموظفات هدرن نقودهن عندما أهدين أكثر الأثواب إثارة لامرأة تستمتع بتمثيل دور نهر جليدي.

ورغم أنها لم تتصرف بهذا الشكل الجليدي وهي بين ذراعيه في المطار، إلاّ أنها الليلة، وبعد أن أعلنهما القاضي زوجاً وزوجة. . .

كان ينوي حقاً أن يعانقها بخفة وبشكل رسمي، لكن ما إن لمسها حتى فقد السيطرة على نفسه فضمها إليه. إنه فضوله وحسب الذي يحاول أن يجرب تأثيره على برودتها. والله يعلم أنه لو حاول أن يعانقها هكذا أمام عدد أقل من الناس لصفعته.

لكنها بقيت سلبية بين ذراعيه، مع أنّ شيئاً من التجاوب أثار فضوله. هل كان ذلك حقيقة أم أنها تمثل مرة أخرى من أجل شخص ما ينظر إليها؟

خرجت إيڤ من الحمام وقد التفت بحذر بثوب حمام أبيض طويل، كان الثوب يصل إلى ما فوق كاحليها. ولاحظ أنها ثنت ساقي البيجاما إلى أعلى.

وقفت وقالت وهي تتثاءب: «حتى أنّ شفتيّ متعبتان. . . أعني من كثرة الابتسام».

كان يعرف تماماً ما تعنيه وأنها لم تكن تحاول أن تغريه، ومع ذلك وجد نفسه يحدق إلى فمها.

لم تكن بحاجة إلى أيّ مستحضرات تجميل لتجعله يبدو جميلاً.

وعادت تتثاءب: «ما رأيك في أن نقذف قطعة نقدية في الهواء لنرى من يظفر بالسرير؟».

- بمكن أن نقطع الورق. ليت لدينا ورق!

- اطلب من خادم الفندق. لا. . . لا تفعل. لأن الفندق كله سيعرف بخبر العريسين اللذين طلبا الورق للتسلية.

- يمكنني أن أخبرهم بأننا نلعب على من عليه أن يعرّي الآخر أولاً.

- لدي فكرة أفضل على أيّ حال. السرير لك لأنك أطول من أن تتسع لك الأريكة. لكن، أريد خدمة منك يا دايڤيد إذا لم يكن لديك مانع.

ولمست إكليل الأزهار في شعرها: «لم أستطع أن أنزع هذه الورود

السخيفة، فقد استعمل مصفف الشعر الكثير من المثبت».

وجلست بجانبه منتصبة الظهر.

كان معتاداً على أعمال أدقّ بكثير وما من مبرر لانعدام لباقته بهذا الشكل في نزع زينة سخيفة للشعر. إلا إذا كان السبب هو رائحة الليلك التي تفوح منها، أو إغراء عنقها الذي يغريه بأن يميل نحوه...

حدث نفسه بأن هذه ليست فكرة جيدة، وأن عليه أن يفكر في أمر آخر.

- ليتك لم تكوني عنيدة بالنسبة لتوزيع الحلوى على الضيوف ليأخذوها معهم. يمكنني أن آكل أربع علب منها في هذه اللحظة.

وسقط إكليل الأزهار في يده فانسدل شعرها المتموج حول وجهها وهي تلتفت إليه باسمة.

ورآها في أخطر حالاتها وهي تبتسم.

* * *

لم تكن إيف تنوي أن تستغرق في النوم، وهذا هو أحد الأسباب التي دفعتها للنوم على الأريكة. رغم أن السبب الشهم الذي قدمته بأن الأريكة تناسبها نظراً لحجمهما، صحيح تماماً. لكنها كانت متعبة أكثر مما كانت تدرك. تذكرت أنها تفرجت دقائق عدة على فيلم قديم، كما تذكرت بشكل غامض أنّ دايڤيد رفع قدميها على الأريكة ثم وضع وسادة تحت رأسها ودثاراً عليها. وكان هذا كل ما تذكرته حين استيقظت وعنقها متصلّب لترى ضوء الصباح يتدفق من النوافذ الواسعة التي تطل على بحيرة «ميتشيغين».

الشيء التالي الذي رأته هو دايڤيد. كان ينام مسترخياً في زاوية الأريكة مسنداً رأسه إلى الخلف بينما قدماها في حجره. بدا واضحاً أنه أمضى الليل كله هناك. ترى هل الفيلم جعله ينام هو أيضاً؟ لكن التلفزيون

كان مطفأً. لا يمكن أن يكون من الغباء بحيث أحب أن ينام على الأريكة بهذا الشكل!

حاولت أن تنهض من دون أن تزعجه لكن دايڤيد استيقظ حالما تحركت. فجلست ويداها حول ركبتيها: «لماذا لم تنم في السرير، ولا أريدك أن تقول إنك فعلت ذلك بدافع التهذيب».

فقال بصوت رزين: «لا بأس ما دمت لا تريدين أن تسمعي ذلك».

- أنا التي اخترت الأريكة، فمن الغباء ألاّ تنام أنت مرتاحاً.

- كان عدم ارتياحي سيزداد إذا تركتك تنامين هنا بينما أستمتع أنا بالنوم على سرير مزدوج. ماذا عن الفطور يا زوجتي؟

ووقف يتمطّى فأخذت تنظر إلى عضلاته تتموج تحت قميصه القطني.

- لماذا تسألني؟

- لأنك طلبت مني ألاّ أتصرف بتهذيب. ولذا سأحاول أن أتصرف بشكل فوضوي فقد يعجبك ذلك.

- ليس هذا ما...

وغيّرت الموضوع: «قائمة الطعام هنا في مكان ما. ماذا تريد أن تفعل اليوم... أعني أن أمامنا نهاراً كاملاً علينا أن نمضيه».

وعضت شفتها... لم تكن تصلح الأمور... لكن بدا أنّ دايڤيد لم يلاحظ الاقتراح في سؤالها ما جعلها تشعر بمزيد من الغباء. وقال: «بما أن الاستلقاء على الشاطىء غير وارد، فأنا أترك الخيار لك».

وأخذ يدرس قائمة الطعام: «ماذا تريدين أن تأكلي؟»

- قهوة من فضلك.

- فقط؟

- أنا لا أتناول الفطور.

- لا عجب في حدة طبعك في الصباح.

- إذا كنت تعتبر هذا حدة طبع، فلا تقف في طريقي عندما أتأخر على

العمل.

ـ سأتذكر هذا.

وتناول سماعة الهاتف.

شدّت إيف حزام ثوب الحمام الذي ارتخى أثناء الليل ثم حملت الوسادة إلى السرير. وكان دايڤيد قد رتّب السرير بمهارة، لكنها كشفت الغطاء عنه إلى النصف وجذبت الملاءة بعنف حتى تدلى طرفها على الأرض.

سألها وهو يضع الهاتف: «ماذا تفعلين؟».

ـ يجب أن يبدو وكأننا استعملنا السرير.

وتراجعت إلى الخلف تتأمل المشهد: «ما رأيك؟»

وقف بجانبها وقال: «ليس مقنعاً تماماً».

ـ هذا ما كنت أخشاه. ولكن ماذا بإمكاني أن أفعل غير...؟

وقبل أن تنهي كلامها كان قد أعاد الأغطية على السرير ثم حملها وألقاها وسطه.

صرخت وحاولت أن تنزل عنه وإذا به يرتمي بجانبها. لكن وبدلاً من أن يلمسها، تقلب مرات عدة ثم أخذ يلكم الوسادة، وشد الملاءة السفلى حتى ارتخت وتكوّمت تحته. بعدئذ، رفع نفسه على مرفقه ونظر إليها، ووجهه يعلو وجهها بعدة إنشات: «ماذا حدث يا عزيزتي؟ هل ظننت أن في ذهني شيئاً آخر؟».

أرادت أن تزمجر، لكن بقفزة رياضية بارعة وقف على قدميه: «كلما أردت أن تشعثي السرير، ناديني»

جمعت ما تبقّى من كرامتها، ووقفت وأخذت ملابسها من الخزانة. ثم سارت إلى الحمام تقفله خلفها وهي تتساءل غاضبة عما حدث لها حتى أوشكت أن تصاب بنوبة قلبية بسبب أمور حمقاء... وعندما عادت إلى الغرفة كان دايڤيد جالساً على الأريكة يقرأ صحيفة الصباح، وبجانبه عربة

محملة بفطور سخي دسم.

ـ هل طلبت كل هذا؟

قال وهو يطوي الصحيفة ويضعها جانباً: «ليس بالضبط. فهذا فطور جناح العرائس العادي، كما قال لي النادل الذي أحضره».

ـ هل أنت واثق من أنه لم يخلط بين عربتنا وعربة غرفة مليئة برياضيين يستعدون لمباراة في الجري؟

ـ تماماً.

سكبت لنفسها كوب قهوة وجلست: «أي بربري يمكنه أن يأكل كل هذا؟».

ـ أنت لا تريدينني أن أجيب حقاً على هذا السؤال. كما أن الوقت لم يعد صباحاً، فدعينا نسميه غداءً مبكراً.

ثم تناول إبريق عصير البرتقال وناول إيف كأساً: «إلا إذا كان في ذهنك أمر آخر».

لم يحمل صوته حتى لمحة من الشهوة، لهذا لم تفهم لماذا بذلت جهدها لتمنع نفسها من النظر إلى السرير خلفه: «فكرت في أن آخذك بجولة في السيارة بحسب رغبة هنري. يمكننا أن نتمشى قليلاً ثم نستقل سيارة أجرة إلى «حديقة لينكولن العامة» ما يمنحك فكرة عن تاريخ المدينة كما يمكننا أن نصعد إلى قمة «برج سيرس» إذا شئت أن تشعر وكأنك سائح».

ـ بكل تأكيد.

وناولها صحناً: «برنامج طموح كهذا يعني أنك ستحتاجين إلى وقود. هل تحبين أن تقرئي الصحيفة مع الفطور؟»

اعترفت إيف لنفسها بأن رائحة «الكعك البلجيكي» شهية. كما أن البرنامج الحافل الذي تحدثت عنه لن يتطلب النهار بأكمله. ولن تجد فرصة أفضل من قراءة الصحيفة، لملء تلك الساعات الطويلة حتى تنتهي

العطلة الاسبوعية ويعودا إلى العمل.

وهذا يعني، على الأقل، عدم اضطرارهما لتبادل الحديث لفترة.

* * *

بدا لدايڤيد أن إيڤ تصادف شخصاً تعرفه في كل مكان يذهبان إليه. قابلا صدفة، عند كلية الفنون، امرأة مثقلة بالماس.

لم يتذكر دايڤيد أنه رأى المرأة في العرس لكنه ميّز الماس حتماً.

وأثناء تجربتها الثياب في متجر «تايلر رويال» قدمته إلى رئيسة القسم وإلى ثلاث نساء كنّ ينظرن من خلال الستار.

دفعت ثمن الثوب وطلبت إرساله إلى الفندق قائلة: «سيكون لدي على الأقل ما ألبسه غداً. والآن، ما بك؟»

ـ أراك فتاة اجتماعية للغاية، أليس كذلك؟

ـ طبعاً لا. ليس لديّ وقت.

ـ أتعنين أن هؤلاء الناس كلهم زبائن؟

ـ معظمهم. بعضهم يودّون أن يكونوا كذلك، لكنهم يأتون دوماً للتفرج. يعتبر متجرنا أحد المعالم السياحية في المدينة. لماذا تسأل؟ هل تريد إعادة النظر في عمل هنري؟

ولم تنتظر الجواب وتابعت: «أظننا سنذهب الآن إلى متحف التاريخ الطبيعي. يوجد فيه مجموعة رائعة من المجوهرات».

فتمتم: «هذا بالضبط ما أحب القيام به في يوم عطلتي».

وفي غرفة المجوهرات قابلا حبيبين تذكر دايڤيد أنه رآهما في المتجر الأسبوع الماضي. كانا ينظران إلى خواتم الخطبة لكنهما لم يختارا شيئاً.

رأى المرأة تختلس النظر إلى يد إيڤ اليسرى. وتوترت أعصابه وهو يرى خيبة الأمل على وجهها قبل أن تقول: «ظننت أنّ خاتمك سيكون الأروع...، رباه!... لم أقصد أن أكون...».

ـ أظنه خاتماً رائعاً. في الواقع، لو لبست خاتماً بزمردة بحجم إشارة السير الضوئية، لبدا كل ما في المتجر باهتاً بالمقارنة معه.

وعندما غادرا المتحف، قال دايڤيد: «كان جوابك جيداً رغم أنه ليس صادقاً».

ـ حسناً، لعل هذا ليس السبب الأساسي الذي جعلني أرفض أن ألبس خاتماً رائعاً، لكنني لم أكن كاذبة تماماً.

ـ عنيت الناحية الأخرى.

فسألت بحيرة: «أتعني بالنسبة إلى أنه خاتم رائع؟»

ورفعت يدها فعكس البلاتين أشعة الشمس. سارت خطوات عدة ثم قالت بهدوء: «إنه رائع يا دايڤيد».

ـ لم يكن هذا رأيك الليلة الماضية.

ـ الليلة الماضية ظننتك فعلت هذا عمداً... فقط لجذب الانتباه... أعني فقط لتريني أنني لا يمكن أن أملي عليك ما أريد.

ـ والآن؟

حاول أن يبدو سؤاله عفوياً، لكن أنفاسه انحبست لحظة.

فترددت: «الآن، ربما لا يمكنك عمل شيء لا يجذب الانتباه».

تملكه ارتياح غريب ومدّ يده ليمسك بيدها فرفعتها لتلوّح لسيارة أجرة: «واضح أن هنري عرف كيف يختار».

تراجع دايڤيد، بينما بدت هي غافلة وهي تسأله: «هل ما زلت تريد أن ترى المنظر من «برج سيرس»؟».

نظرا إلى مغيب الشمس من فوق ناطحة السحاب، وأخيراً عادا إلى الفندق بعد أن لم يعد لديهما عذر للبقاء في الخارج.

قال البوّاب وقد تملكه الارتياح لرؤيتهما: «لم يعرف أحد مكانكما. وفي غرفة الخدم يبحثون عنكما».

فسألته بمرح: «لماذا؟ هل سندفع غرامة لعدم إنهاء الفطور؟»

ـ لا، بل أرادوا أن يعرفوا متى تريدان العشاء.

ـ ظننت أنه يكفي أن نقصد غرفة الطعام.

ـ آه، لا ياسيدتي . فقد أوصى جدك بتحضير طبق «شاتوبريان» لكما كما أعتقد. سأتصل بغرفة الخدم وأخبرهما بعودتكما.

وفي المصعد قالت إيف: «يبدو وكأننا انتهكنا قرار حظر التجول. هل تعلم أنني فكرت في الهرب الليلة، لكننا سنمر بكل الموظفين ونحن نحمل حقائبنا ولم يخطر في بالي أن هنري سيتدخل. أظن أن أول ما سيفعله بعدئذ هو أن يحضر الليموزين عند الصباح لئلا نزعج أنفسنا بالحقائب. والآن، أنا مرهقة. تلك الأريكة غير مريحة».

ـ إنه دورك في النوم في السرير على أيّ حال.

فسّمرته بنظرة: «ستتقاسم السرير على أن تلتزم بنصفك».

أجفل دايڤيد وشعر بأنه بدا عليه ذلك لأنها قالت: «أحاول أن أكون عقلانية، إذ علينا أن نذهب إلى العمل غداً، ولا يمكن أن نبدو مرهقين».

ـ ولماذا لا؟ سيصاب الموظفون بخيبة أمل إذا رأونا مرتاحين تماماً.

مدت له لسانها، فضحك.

* * *

٥ ـ جلسة مصارحة

عندما انتهى دايڤيد من الاستحمام، كانت إيف تجلس في السرير مستندة إلى الوسائد وهي تضع دفتراً على ركبتيها. لاحظ أنها ترتدي ثوب الحمام والبيجاما ساترة ما تستطيع من جسمها. لكن الظلال التي ألقاها المصباح الموضوع بجانب السرير، وهو الضوء الوحيد في الجناح، جعل المنظر مثيراً للفضول.

ـ لماذا تحدّق إليّ؟

فكر في أنه من الأفضل ألاّ يخبرها أن حرصها على الحشمة لا يفعل سوى جذب النظر إليها. فقال: «يبدو أنك تفضلين هذا الجانب من السرير».

ـ لماذا؟ هل تريده لنفسك؟ إذا كنت معتاداً عليه أثناء معاشرتك لحبيباتك العشر...

ـ أظنني أخبرتك أنهن لم يكن بهذه الكثرة.

ـ تقريباً عشرة... إذن، سوف... بل غيرت رأيي ولن أنتقل إلى الناحية الأخرى. سينفعك أن تنسى عاداتك فلا تظنني الحبيبة الحادية عشر أو ما شابه...

هذا غير ممكن، كما أخذ يفكر لكنه قال: «يبدو أنك اهتممت بهذه المشكلة أيضاً».

وأشار إلى البطانية الملفوفة بإحكام والتي وضعتها بينهما في السرير:

«لا أدري ما الذي لا تثقين به، أنا أم أنت».

وصعد إلى مكانه في السرير: «ماذا تفعلين؟ تكتبين رسائل؟»

ـ أسجل قائمة بما عليّ أن أفعله غداً.

ـ دعي العمل يرتاح يا إيڤ.

وتثاءب وأدار ظهره لها ثم أغمض عينيه. بعد أن نام الليلة الماضية على الأريكة، سيستغرق حتماً في النوم على الفور ولن يتحرك طوال الليل، ولم يكن ثمة حاجة إلى وضع بطانيتها حاجزاً ولعلها ضيعت طاقتها سدى.

لكن أنفاسها وحفيف بيجامته التي ترتديها وحتى صرير قلمها وهي تكتب، حرمته من النوم. واستلقى جامداً تماماً، يصغي.

أنهت الكتابة أخيراً فوضعت الدفتر جانباً، ومدّت يدها لتطفىء المصباح بجانب السرير. ورغم أنه لم يكن ينظر إليها إلا أنه تخيّل كم البيجاما الواسع وهو ينحدر عن معصم رقيق نحيف حين مدّت يدها إلى المصباح لتطفئه. واستلقت ببطء خشية أن تزعجه كما يبدو.

رأى ذلك مضحكاً، لأنها تزعجه بمجرد وجودها. ما زال يسمع تنفسها الهادىء، ويشعر بأي حركة طفيفة منها، وكأنها تهز الفراش.

استلقى جامداً يفكر في تغيير مكانه. لم تكن الأريكة سيئة. فهو على الأقل، في الجانب الآخر من الغرفة، ولن يشعر بكل حركة تصدر عنها.

لكن تباً لذلك! على الرجل أن يصون كرامته. فالانتقال من السرير يعني الإقرار بهزيمته! وهو لن يفعل ذلك. لن يقر أبداً بأنها تؤثر فيه.

ماذا حدث له؟ لقد وافق على الشروط التي وضعتها لزواجهما، والتزم بذلك. لكنه وافق على تلك الاتفاقية لأنه لم يتصور نفسه منجذباً إليها.

وما زال لا يتصور ذلك، كما ذكر نفسه. كانت إيڤ رائعة، لكنها بمثل صلابة وبرودة الأحجار الكريمة التي يعمل عليها يومياً.

عندما وعدها بأن يدعها وشأنها، لم يتوقع أن يتقاسما السرير نفسه

مهما كانت الظروف. كما لم يتوقع ذاك العناق العنيف في المطار. لو لم ترتمِ في أحضانه بذلك الشكل، لما تصور أن نهر الجليد الذي تزوجه يجري على فوهة بركان.

مجرد التفكير في ذاك العناق جعل يديه تتشوقان إلى احتضانها مرة أخرى.

أخذ يلكم الوسادة بضيق، ولاحظ أن السكون ساد في المكان. كانت إيڤ تحبس أنفاسها.

ثم أدرك دايڤيد أنه هو أيضاً يحبس أنفاسه.

* * *

كان دايڤيد يسبح في سحابة حريرية تفوح منها رائحة الليلك عندما أيقظه بخشونة صوت ينادي باسمه.

فتح عينيه فوجد نفسه وجهاً لوجه مع إيڤ، فبقي جامداً لحظة يتعود على الوضع. لم تعد البطانية الملفوفة حاجزاً بينهما، بل كانت مكوّمة على الأرض. والسحابة الناعمة التي يفوح منها شذا الليلك تحت خده هي شعرها. كان قد سمرّها على الوسادة من دون قصد فلم تستطع أن تدير رأسها. فلا عجب أن يبدو صوتها وكأنها تشدّ على أسنانها، ولعلها تفعل ذلك.

فكر في أنها ستقتله حتماً. بينما قالت هي ببرودة: «من فضلك».

رفع رأسه فتحررت منه واستدارت تنظر إلى الساعة قرب السرير، ثم صرخت مذعورة فأثار صوتها أعصابه: «هل تستيقظين دوماً بهذا المزاج؟».

ـ عندما أتأخر في النوم فقط. لكنني لا أفهم لماذا تأخرت، لأنني وضعت المنبه على الساعة السابعة.

نظر إلى الساعة فوجد أنها التاسعة وعدة دقائق. نظر إلى ساعة يده:

«لعل الساعة معطلة».

وراحت تفحص الساعة فقالت غير مصدقة: «المنبه معطّل. أكاد لا أصدق، فهذا الفندق يتباهى بدقة كل ما فيه».

ـ ربما لم يبلّغ أحد عن المنبه. منبه في جناح العرائس؟ لا بد أنه معطّل منذ أشهر.

ـ لا أدري كيف لم يلاحظ أحد ذلك.

ـ هذا سهل يا عزيزتي، كما ترين...

ـ ليس عليك أن تفسّر لي لماذا يتأخر العروسان في النوم. عنيت فقط أنه قد يكون لديهما موعد سفر أحياناً.

ـ إذا كانا ذكيين، فسيحجزان للسفر بعد الظهر. كما أنك قلت إنك لا تريدين أن تبدي مرهقة هذا الصباح. وهكذا، ساعتا نوم إضافيتان...

ونزل عن السرير فقالت: «حسناً، أنا أشعر بالإرهاق».

سارت إلى خزانة الثياب وأخرجت ثوبها الجديد من كيسه: «علينا أن نسرع».

ـ لماذا؟ لقد تأخرنا على أيّ حال ولم يعد هناك فرق.

لكنها كانت قد اختفت في الحمام فلم تسمع. تأخرا في العشاء الليلة الماضية مستمتعين بالشاتوبريان فلم يحزما أمتعتهما. وهكذا، سحب دايڤيد حقيبته وأخذ يفرغ الأدراج من محتوياتها. خرجت إيف من الحمام وهي تحمل فرشاة الماسكارا في يد وبيجامته في يدها الأخرى، وقالت: «خذ، وشكراً للإعارة. لا تنظر إليّ بهذا الشكل، أنا أعرف أنّ عليّ أن أعيدها لك نظيفة، لكن ما من مكان لها في حقيبتي».

ألقى دايڤيد بالبيجاما فوق كومة قمصانه في الحقيبة: «لا تنسي قميص النوم الدانتيل. ماذا فعلت به على أيّ حال؟ أنا لم أره منذ ليلة السبت».

ـ كنت أحاول أن أتركه هنا، لكنك لن تظن الأمر مصادفة طبعاً.

وفتحت درجاً أخرجت منه قميص النوم وألقته إليه: «خذ، أنت

تريده، فضعه في أمتعتك».

ألقاه إليها مجدداً وقال: «ضعيه في علبته. إذا تركته هنا فقد تأخذه الخادمات إلى مديرة الفندق التي سترسله إليك وبالتالي لن يبهج هذا موظفات بيرمنغهام».

ـ وكيف سيعلمن أني تركته فأنا لن أرتديه عندما أدعوهن لشرب الشاي.

ـ لأن المديرة ستحضره إليك في المتجر.

ـ هذا صحيح. هذا ما ستفعله المرأة بالضبط.

ودست قميص النوم الدانتيل في جيب حقيبتها. كان الدانتيل، كما لاحظ دايڤيد، من النعومة بحيث إذا ضُغط يكاد يكوّن بلا حجم. سألها: «ما الذي سنفعله بالأمتعة؟ لا أستطيع أن أتصوّر أننا سندخل إلى المتجر حاملين معنا حقيبتين».

ـ أظن أن بإمكاننا أن نتركهما في الأمانات إلى أن نعود من العمل فنأخذهما. لكن لا، لا أريد أن نعود مرة أخرى إلى هذا الفندق قبل فترة طويلة. علينا أن نذهب إلى شقتي ونضعهما هناك. هل ستكون مستعداً بعد قليل؟ لا أريد أن نتأخر أكثر من اللازم.

ـ أظن أنّ هذا لا يشمل الفطور، لكن على الأقل لن نضطر أن نشعث أغطية السرير هذا الصباح فنضيّع دقائق عدة سدى.

* * *

كان المتجر قد فتح أبوابه منذ ساعة عندما توقفت سيارتها أمامه. نظرت إيف إلى ساعتها ثم إلى امرأتين خرجتا من المتجر حاملتين أكياس صغيرة، وتنهدت: «علينا حتماً أن ننظم وقتنا في الصباح. لا أتحمل أن يخرج الزبائن قبل وصولي».

مدّ يده يساعدها على النزول من السيارة قائلاً: «لا أظن أنّ أي منبه

لديك يجرؤ على أن يتأخر، لهذا لن نواجه أيّ مشكلة من الآن فصاعداً».

ـ هل لأنني أريد أن تسير الأمور كما ينبغي لها يا دايڤيد...

فتح الباب ومال إليها هامساً: «ابتسمي يا حبيبتي، إنهم ينظرون إلينا».

لاحظت أن كل موظف في المتجر وجد عذراً للحضور إلى قاعة العرض الرئيسية. وعندما دخلا، التفتوا إليهما ونظر بعضهم إلى ساعته.

شعرت وكأنها تريد أن تذكرهم بمئات المرات التي كانت هي فيها أول الواصلين. لكن موقف الدفاع عن النفس لا كرامة فيه.

قالت متصنعة البشاشة: «صباح الخير. ما أجمل استقبالكم هذا».

وسارت إلى مكتبها خلف قاعة العرض. وبخطوتين، كان دايڤيد بجانبها يضع يده على كتفها. التفتت إليه فإذا به يعانقها عناقاً خفيفاً: «سأكون في غرفة عملي لأنجز عقد السيدة مورغان يا حبيبتي».

منحته إيڤ أروع ابتسامة، لكنها قالت بصوت خافت: «سأتذكر ذلك عندما أكتشف أنني لا أستطيع العيش من دونك، وإن كان ذلك غير محتمل».

وبطرف عينها رأت موظفاً في قسم المبيعات يسحب قائمة من محفظة نقوده ليناولها إلى المرأة التي بجانبه. هذا غريب... لا بد إنهم ما زالوا يجمعون ثمن ذلك الدانتيل المضيّع سدى، ما ذكرها بـ... ورفعت صوتها: «أريد أن أشكركم جميعاً على هديتكم. إنها جميلة».

فقال دايڤيد: «جميلة جداً. سأرسل لكل منكم رسالة شكر شخصية، لأنكم قدّمتم لإيڤ هدية أعجبتني للغاية. لكن، في الوقت نفسه...».

وشعرت إيڤ ببشرتها تلتهب فيما تابع دايڤيد: «إنها مختارة بذوق رائع».

ابتسمت له وقالت وهي تصرّ على أسنانها: «هل لك أن تنهي الموضوع؟».

مال إليها ثم همس في أذنها: «أظنك ستعتبرينني عديم التهذيب إذا أخبرتهم أن قميص النوم الدانتيل أمضى معظم الوقت على الأرض».

رغم أن تلك هي الحقيقة.

حملقت فيه ثم سارت إلى مكتبها، راجية أن تُفسّر نظرتها تلك على أنها ولع أو خجل على الأقل.

لكنها وقبل أن تصل إليه، وقفت فجأة حين وقع نظرها على ترافيس نيد، فحبست أنفاسها: «هل ما زلت في شيكاغو؟ ظننتك بدأت رحلتك التالية».

قالت هذا محاولة التظاهر بعدم الاهتمام، فلمعت عيناه: «إذن، أنت ما زلت تتابعين أخباري. كان من المفترض أن أنتقل طبعاً، لكن هنري كان مشغولاً في الأسبوع الماضي».

ـ إذن، ربما من الأفضل أن تذهب لرؤيته الآن.

ومرت بجانبه ثم دخلت إلى غرفة مكتبها حيث انحنت لترى بريدها.

وقف في مكتبها يحدّق إليها عن قرب: «لقد رأيته. لكن الأمر لم يكن عادياً، فأنت لم تكوني هنا في الصباح لذا قررت أن أنسكع قليلاً لأرى ماذا سيحدث. كان هذا عرضاً ممتعاً يا حبيبتي إيڤ. لا أظنني دهشت تماماً».

لم ترفع بصرها: «أتعني بعد أن رأيتنا أنا ودايڤيد في المطار؟».

ـ لا. أعني بعد أن سمعت أن هنري يريد أن يتقاعد. ما أجمل هذا... بالنسبة إلى عريسك على الأقل. لكن يا إيڤ الحلوة... لقد صُدمت يا عزيزتي صدقيني، برؤية المرأة التي كانت تهتم بالأخلاق إلى حد بالغ، تبيع نفسها رخيصة بهذا الشكل.

وجاء صوت دايڤيد من على الباب: «هل هذا الرجل يزعجك يا إيڤ؟».

ـ لا. فهو سيخرج فوراً.

فابتسم ترافيس ببرودة: «إذن، عريسك من النوع المتملك أيضاً، لكن

هذا لا يدهشني أيضاً. فبالنسبة إلى رجل لم يكن يملك شيئاً من قبل، سيخسر الكثير إذا لم يجعل زوجته سعيدة. . أو (مضللة) بوصف أدق.

وحيّاها بسخرية وهو يتوجه إلى الباب فتنحّى دايڤيد جانباً ليدعه يمرّ.

حاولت إيڤ عبثاً أن تمنع يديها من الارتجاف. وحالما ابتعد تراقيس عن مرمى السمع، قالت: «لا أدري لماذا دخلت مستعجلاً بهذا الشكل. أنا لست بحاجة إلى حماية منه».

ـ هل هذا ما ظننت أني أحاول فعله؟ ألقي إليك بحبل النجاة؟ من المؤسف أنه لم يبقَ حتى نتعارف لأنه يبدو شاباً ساحراً. هنري يريد أن يتحدث إلينا معاً على مائدة الفطور.

ـ لا أدري فكرة من هذه.

ـ الفطور فكرتي طبعاً. لقد بدا متأثراً جداً عندما أخبرته أننا. . . لم نفكر في الطعام هذا الصباح.

فقالت مذهولة: «لا أراك أخبرته بهذا».

ـ أخبرته بماذا؟ بأننا انشغلنا ببعضنا فلم نغادر السرير في الوقت المناسب؟ لا أدري ما الذي يذهلك، فهذه هي الفكرة التي تريدينه أن يكوّنها.

ـ لم أشأ أن أكذب عليه في هذا الشأن.

ـ أنت تريدينه أن يفهم من ذاته، بغض النظر عن الخطأ الذي قد يحصل.

ـ ثمة فرق كبير يا دايڤيد.

ـ نعم، ولهذا لم أخبره بشيء. من المهم على أيّ حال، أن نعرف إلى أين وصل تفكيرك. لكن هنري ينتظرنا عند الباب الأمامي، ولهذا علينا أن نتابع الحديث في ما بعد.

بعد وقت طويل، كما فكرت هي بضيق. في يوم ما من المستقبل، هذا إذا كان لدي ما أقوله.

ـ أخبريني عن الرجل الذي كان هنا.

فمنعت نفسها من الارتجاف: «ما من شيء أخبرك به. إنه كالعشيقات العشرة اللواتي عرفتهن. . . لا أحد يستوجب القلق».

فتمتم يقول: «ربما لم يخطر في بالك أن هذا ما يثير قلقي».

كان هنري واقفاً عند الباب الأمامي يتحدث إلى بائعة بجانب صندوق للعرض. رأته إيڤ يضع محفظة نقوده في جيبه فيما الموظفة تضع قائمة في مغلف: «أختار أول يوم من الأسبوع القادم. . .».

وعندما رأى إيڤ ودايڤيد حياهما بابتسامة عريضة: «الفطور».

ثم تناول عصاه الموضوعة على صندوق العرض.

عندما سارا في الشارع إلى مطعم هنري المفضل، كانت إيڤ مقطبة: «ماذا هناك؟ لم أعهدك تدفع للموظفين نقداً».

طرف هنري بعينيه ببراءة: «المعذرة! لم أفهم».

فأمسك دايڤيد ذراعها: «أعتقد أن هذا يسمّى «مراهنة مكتب» يا عزيزتي. كل موظف يراهن بعدة دولارات على مباراة ما في البلد، الأقرب إلى الواقع يأخذ الحصيلة».

ـ أعرف ما هي «مراهنة المكتب». لكن المباريات العالمية انتهت وموسم كرة السلة لم يبدأ بعد.

فقال دايڤيد: «ثمة أمور أخرى غير الرياضة يمكن المراهنة عليها. وأظن أنّ لهذا علاقة بالتفات الجميع إلى ساعاتهم حين دخلنا منذ دقائق».

بدا الذهول عليها والتفتت إلى جدها: «هل كنتم تراهنون على ساعة وصولنا إلى العمل هذا الصباح؟».

فأجاب ببساطة: «ليس هذا الصباح. لكن عندما مرّ الوقت ولم نصلا، بدأت التخمينات حول موعد وصولك إلى عملك. الرابح هو الذي يختار اليوم الذي ستصلين فيه في الوقت المعتاد. لكن بعد أن عرفت الموضوع، لم يعد الرهان عادلاً، لذا أظن أنّ علينا أن نلغيه».

ـ إفعل، والمحظوظ هو الذي اختار يوم الغد.

لم يجب هنري بل أومأ بلطف. وفي المطعم، اتجه رأساً إلى مكانه المفضل، إلى مائدة تقوم بين مقعدين مستطيلين وجلس على أحد المقعدين بكل راحة.

جلست إيف مكرهة على المقعد الآخر مفسحة مكاناً بجانبها لدايڤيد. كانت الموائد صغيرة، ورغم أنها كادت تلتصق بالجدار إلا أنها شعرت بحرارة جسده وباحتكاك بنطلونه الخشن بجوربها الناعم.

وأخيراً، بدا أن هنري لاحظ ضيق المكان: «هل تفضلان أن نختار مائدة عادية؟ يمكننا أن ننتقل».

لم يجب دايڤيد بل نظر إلى إيف وكأنه يريد أن يرى ما إذا كانت ستنتهز الفرصة لتهرب من قربه.

تباً لها إذا اعترفت بأنها تعبأ بقربه منها بهذا الشكل فقالت: «لا، أنا أحب أن أجلس في زاوية كهذه، فهذا يجعلني أشعر بالحماية والأمان. ما الذي تريد أن تحدثنا به يا هنري؟».

أجاب وهو يشير إلى النادل: «عن حملة الدعاية بشكل رئيسي. فكرت فيكما كثيراً أثناء العطلة الأسبوعية وبدا لي أن علينا أن نعقد اجتماعاً مع الفريق الذي جاءنا بهذه الفكرة، قبل أن نوافق على المتابعة».

فاعترضت إيف: «لكنني أعطيت موافقتي المبدئية».

فقال دايڤيد: «كان ذلك قبل أن تجدي وقتاً لمراجعة المسألة».

نظرت إليه شزراً: «كان علي أن أعلم أن لك يداً في هذا».

ـ أنا لم أرتب هذا، يا إيف. أنا أشرت فقط إلى أنّ «متجر بيرمنغهام» غير ملتزم بعد بالسير قدماً في هذا.

ـ وأظن أنّ موافقتك ستكون هي الالتزام؟

فتدخل هنري: «أظن أنّ علينا أن نسمع منهم لماذا يظنون أنفسهم مهرة إلى هذا الحد، ولماذا يعتقدون أن تأثير حملة الدعاية سيكون تأثير جيداً.

فهي لن تنجح إلا إذا آمنا جميعاً بفعاليتها».

فاعترضت: «لا أظن هذا صحيحاً فقد قمنا بحملات لم أكن مقتنعة بها تماماً، و...»

فقال دايڤيد: «وربما كان هناك فرص أفضل لكنها أُهملت لأنك لم تعترضي».

وتدخل هنري: «اجتماع واحد فقط. وهذا كل شيء. إذا استطاعوا أن يقنعوني فسأسحب اعتراضي».

فقالت: «حسناً، سأرتب أمر الاجتماع. والآن، إذا كان هذا كل ما لدينا لنناقشه، فسأعود إلى عملي».

توقعت مزيداً من الجدل، لكن دايڤيد وقف صامتاً يفسح لها المجال. وعندما ابتعدت سمعته يقول لهنري باتزان: «إنها غريبة الأطوار فقط عندما لا تتناول فطورها».

***

كان المشرف على البناية في الردهة عندما أحضرا أمتعتها، لذا تركاها معه بدلاً من الصعود إلى الطابق الثاني. عندما فتحت باب شقتها ذلك المساء لاحظت أن يدها ترتجف قليلاً. وهذا غباء، فقد تشاركا شقة أضيق من هذه في العطلة الأسبوعية، ومن المفترض أن تشعر بالارتياح في بيتها. ففي الشقة على الأقل لن يضطرا للنوم في غرفة واحدة، كما أنّ ما من مدبرة منزل أو مديرة فندق لمراقبتهما.

ولكن بدا هذا تغييراً كبيراً في حياتها. فالجناح في الفندق بطبيعته، مكان إقامة مؤقتة. أما انتقال دايڤيد إلى شقتها فيحمل معنى الدوام، وبالتالي فهو أهم بكثير.

مرت بالحقائب التي كوّمها وكيل البناية في الداخل، وقالت له: «ستحتاج إلى مفتاح للشقة، تجده في درج منضدة الردهة. فنحن لن نكون

معاً دوماً».

لم يجب. والتفتت إليه فرأته ينظر حوله، وبحركة آلية نظرت حولها هي أيضاً. ورغم أنها سكنت هذه الشقة مدة عامين إلاّ أنه بدا لها وكأنها تراها لأول مرة.

ردهة فسيحة تمتد على مدى النظر وتؤدي إلى غرفة النوم المعزولة. وعلى امتداد أحد جدران الردهة رفوف كتب، فيما حمل الجدار المقابل صوراً فوتوغرافية مؤطرة. أما إلى يسارها فيقوم المطبخ المفتوح وإلى يمينها ممراً مقنطراً، يؤدي إلى غرفة جلوس مشمسة حسنة التهوئة في النهار، لكنها غير مريحة في الليل. ضغطت زراً أشعل المدفأة ثم جلست على مقعد أمام اللهب.

قال دايڤيد: «استعمال سيارة بدلاً من سيارتين يبدو مقبولاً، فهل تستخدمين سيارتك عادة؟».

ـ وأحاول أن أوقفها في المدينة؟ هذه ليست مدينة مناسبة للسيارات.

ـ لهذا السبب بعت سيارتي قبل حضوري إلى هنا. تصوّرت أنني إذا كنت مخطئاً فيمكنني أن أشتري سيارة غيرها. حتى في البناية هذه يوجد مواقف سيارات أقل مما يجب.

نظرت إليه وكان لا يزال واقفاً عند المدخل.

كانت الشقة أوسع بكثير من جناح الفندق. لكنها ولسبب ما، لم تبدُ أكبر بكثير. لم تتوقع أن يحتل دايڤيد المكان بأكمله. كان قد تحدّث عن شراء منزل... حسناً، عليهما أن يفكرا في ذلك قريباً. سيبحثان عن بيت كبير غرفه كثيرة فيبقى كل منهما بعيداً عن الآخر.

ـ سأفرغ حقائبي لاحقاً لأنني أريد أن أريح أعصابي أولاً. غرفة الضيوف في آخر الردهة إلى اليمين.

ـ ما دمت جالسة هنا، فيمكنك أن تخبريني عن ترافيس. أعلمني أحد الموظفين باسمه.

جمدت مكانها. في خضم انشغالها هذا النهار، نسيت ما حدث في الصباح.

وبعد فترة طويلة قال: «أرى أنه أحد أسباب تعب أعصابك».

فقفزت واقفة. لكنه لم يتحرك بل بقي يسد الباب: «هل تنوين أن تتركيني وتخرجي؟»

ـ أنا لن أبقى هنا لأخضع للاستجواب، وهذا مؤكد. أنا لم أطلب منك تفاصيل علاقاتك بالنساء في حياتك.

وعندما رأت عينيه تضيقان، أدركت ما الذي اعترفت به إنما بعد فوات الأوان. لم تنجح في وضعه عند حده كما كانت تنوي أن تفعل بل زادت شكوكه.

قال بلطف: «إنه إذن مهم بالنسبة إليك؟».

عادت تجلس ببطء على طرف الأريكة.

راح ينظر إليها بهدوء. لم يبدُ في عينيه أي اهتمام، كما لم تظهر أي ليونة. إنه لن يذعن.

قالت: «كان مهماً ذات يوم».

الرجل المهذب سيكتفي بكلمتها هذه ويسكت. لكن بدا واضحاً أن دايڤيد لا يشعر بالشهامة هذا المساء لأنه سألها: «ألم يعد مهماً الآن؟».

ـ لا. وذلك منذ أشهر عدة.

ـ ماذا حدث؟

ـ وماذا يهم؟ أخبرتك أن كل ما بيننا انتهى، ويمكنك أن تثق بكلمتي. هذا كل ما لدي لأقوله.

ـ بل يهم. إذ يبدو أنّ الرجل المهذب ذاك لا يتفق معك على أن كل ما بينكما انتهى.

عضت شفتها فعاد يسألها: «من هو وما عمله؟».

فتنهدت: «إنه مندوب مبيعات. سمسار مجوهرات. وهو يزور هنري

مرة في الشهر تقريباً».

ـ هذا هو سبب وجوده في المتجر إذن؟ وماذا عن المطار؟

ـ إنه يسافر كثيراً خارج نيويورك.

ـ أظن أنّ الشاب المسكين يشعر بالوحدة.

تجاهلت سخريته وقالت: «انتقاله من فندق إلى فندق طوال الوقت ممل للغاية».

ـ ولهذا كان يتطلع إلى بعض الرفقة...

ـ أخذنا نتقابل كلما حضر إلى المدينة. لم تكن مقابلات غرامية بل مجرد صداقة. ولكن...

ـ لكنك وقت في غرامه.

فلم تجد سبباً يدعو للخجل: «نعم، كما وقع هو في غرامي».

ـ فهمت. يبدو أن لدينا الآن عناصر الحكاية كلها. ماذا حدث لكي تنتهي بالزواج مني بدلاً منه؟ لا بد أن هنري اعترض لأن ترافيس لا يتناسب مع خطته للمتجر.

ـ هنري لا يعلم شيئاً عن الموضوع.

ارتفع حاجباه بارتياب فساورتها رغبة صبيانية في أن تحلقهما له بالموس.

ـ ما كانت العقبة أمام حبكما إذن؟

ـ لم نكن ننوي أن تتحوّل علاقتنا إلى حبّ.

ـ لكن مشاعرك غلبتك، كما يحدث غالباً.

ـ أحقاً؟ لم أكن أعلم هذا.

ـ لا تعلمين؟ كنت أظن أنّ كل مراهقة تعرف الحكمة المصيرية عن عدم الخروج مع شاب لا تضع في اعتبارها الزواج منه، لأن هذه الأمور تخرج عادة عن السيطرة. في حالتي أنا، أبي هو الذي نبهني من دون أن يشرح الأمر بالضبط. لكن لا بد أن أمك...

فهزت رأسها: «لم تحدّثني أمي عن هذه الأمور لأنها تركت أبي وأنا في الخامسة من عمري. بعد ذلك لم أرها إلا نادراً».

فأجفل: «آسف يا إيف. لم أكن أعلم ذلك».

ـ وكيف لك أن تعلم! لم يكن الطلاق سراً طبعاً، لكن الذين يعرفون أسباب تركها لأبي ليسوا كثيرين.

فسألها بلطف: «لماذا؟».

لم تنظر إليه: «لأنها لم تعد تحب أبي وأحبت رجلاً آخر. فذهبت تبحث عن سعادتها».

ـ تركتك من دون أم. هذا يفسر لماذا لم تسمعي أبداً المحاضرات الإرشادية فضلاً عن عدم رفضك فكرة زواج المصلحة.

ـ أظن ذلك. أحب والداي بعضهما البعض... لكن ذلك لم يهمها كثيراً في النهاية.

ـ فلنعد إلى ترافيس وعدم زواجك به.

كان الرجل عنيداً لا يفوته شيء فردّت: «لأنني لم أستطع».

ـ دعيني أخمّن السبب من بين ثلاثة أسباب: إما أنه: لا يصلح للحياة الزوجية، شاذ، أو متزوج. أراهن على أن لديه زوجة صغيرة يخفيها في مكان ما.

ـ لم تكن مخفية.

بدت عليه الدهشة لأول مرة: «أكنت تعلمين أنه متزوج؟ يا حبيبتي، لو خرجت بين الناس مع رجل متزوج، فما كان عليك أن تندهشي لو عاد إليها».

ـ هذا لم يحصل... أعني... هل لا بد أن تشوّه الأمور بحيث تبدو حقيرة؟

ـ إذا لم تشائي أن أفسر الأمور كما أراها، فدعي المراوغة وأخبريني بما حدث.

تنفست بعمق: «حسناً، لم أكن أعلم أنه متزوج. في فترة صداقتنا، لم يكن لديه سبب ليخبرني. على أيّ حال، كانا منفصلين».

- طبعاً كانا كذلك.

- لا أدري لماذا تبدو مشككاً. هذا يحدث دوماً.

- بالضبط. حتى لم يعد الناس يهتمون بانهيار الزواج. لماذا إذن لم يطلقها ويتزوجك؟

- أراد أن يفعل لكنني لم أدعه يفعل، لأن... لأن لديه طفلتين صغيرتين. ست وثلاث سنوات.

أخذ يصفر فأردفت: «قلت له أن يعود إلى أسرته لمصلحة طفلتيه».

- أرى أنه أخطأ في حساباته.

- ماذا تعني؟

- أعني أنه لم يكن يعلم بقصة أمك، وإلا لما تركك تعرفين أن لديه أولاداً إلا بعد أن يتأكد منك.

فهبّت واقفة: «كفى».

- ظننتك قلت إنه لم يعد يهمك؟

- هذا لا يعني أنني سأسمح لك بأن تسيء إليه. كيف لك أن تحكم عليه؟ فهو لم يؤذِ أي إنسان، لكن الظروف خرجت عن سيطرته، مثلي تماماً. اسمع! لن أتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى. فقد انتهى، هل فهمت؟ انتهى.

خرجت إلى الردهة متجهة إلى غرفتها. شعرت برغبة في أن تتابع طريقها إلى السلم المؤدي إلى الحدائق لتخرج إلى المدينة ثم إلى نهر المسيسيبي إلى حيث الجبال الجرداء الصخرية...

كيف يمكن لعلاقتهما أن تنجح؟

وحدّثت نفسها بأن أيّ بيت يشتريانه لن يكون واسعاً بما يكفي ليبتعدا عن بعضهما البعض.

٦ - عهد ووعد

كانت غرفة الضيوف صغيرة. ورغم أنها حاولت جاهدة لتجعله يشعر بأنه مرحّب فيه، إلا أن دايفيد رآها أقرب إلى المكتب منها إلى غرفة نوم. كان المكتب قد أزيح جانباً ليكشف عن مساحة أوسع، نصف خزانة الثياب كان مليئاً بالملفّات والصناديق، والسرير مغطى بالوسائد بحيث بدا أقرب إلى أريكة، كما رأى طاولة تعلوها آلة كاتبة، وما يحتاجه الزائر.

بدا واضحاً أنها نادراً ما تستقبل زائرين في الليل.

أو لعلها لا تستعمل غرفة الضيوف كما حدثه صوت في داخله، خاصة لو كان الزائر تراقيس مثلاً.

لكنه نبذ هذه الأفكار من ذهنه، فهذا ليس من شأنه. أخبرته أن تلك العلاقة انتهت ولا شيء يدعوه إلى الشك في صدقها. فقد أنبأه الألم في صوتها أنها لم تتخذ قرارها بسهولة، بل بعد طول عذاب وتفكير.

ومع ذلك... لم تكن القصة مترابطة تماماً.

سوّى الوسائد وأطفأ الأنوار محاولاً أن يرتاح في هذا السرير الضيق، ثم وضع ذراعيه تحت رأسه وأخذ يحدق إلى السقف وهو يفكر في ما أخبرته به.

إنها قصة قديمة لرجل متزوج وامرأة ضعيفة وقعت في شرك نصبه لها. معظم النساء ما كن ليستطعن النجاة إلا أن إيف استطاعت ذلك. ولم

تقع في فخ الاعتقاد بأن ابنتي حبيبها الصغيرتين ستصبحان أفضل حالاً إذا انفصل والداهما. وهي حكمة اكتسبتها من تجربتها الخاصة، فالعذاب الذي عانته في طفولتها يمنعها من أن تسبب مثله لطفلتين أخريين.

تمت بما عليّ القيام به، هذا ما قالته له، وأنبأه الألم في صوتها بأنها مؤمنة بما تقول.

وأدرك الآن ما يضايقه... لم يكن أمامها خيار آخر، فإما أن تحطم الأسرة وإما أن تتخلى عن حبيبها. لكن لماذا لم تفكر في أن تنتظر حتى تكبر الطفلتان فتتزوج حبيبها؟ إذا كانت تحبه إلى هذا الحد، فلا بد أن هذه الفكرة خطرت لها.

ربما خطرت لها هذه الفكرة فعلاً، لكنها رأت أن الانتظار سيكون طويلاً. فالطفلتان صغيرتان للغاية، ست وثلاث سنوات كما قالت، وبهذا سيطول انتظارها. لكن، إذا كانت تحبه إلى الحد الذي تظنه لفكرت في ذلك على الأقل، ولما اعتبرت خمسة عشر عاماً، حتى تبلغ الطفلة الصغرى سن الرشد، فترة طويلة.

إذا كانت إيف تعتقد بأنها تحب تراڤيس وأنها لن تحب سواه، فلماذا أذعنت عندما اقترح عليها جدها أن تتزوج زواج مصلحة، ولم تخبره أنها سترمي بنفسها في بحيرة ميشيغين؟

من المؤكد أن السبب ليس عدم صبرها أو خوفها من الوعود الطويلة المدى. فبدلاً من انتظار الرجل الذي تحب، اختارت زواج مصلحة سيدوم إلى الأبد كما قالت. كانت تعتبر نفسها صادقة تماماً، وهو مقتنع بذلك، ولكن هل قالت الحقيقة كاملة؟ وهل تعرف حقاً ما تريده؟ هل في أعماق عقلها الباطن، تريد أن يكون هذا الزواج بديلاً مؤقتاً لا أكثر وذلك لكي تسعد جدها وتشغل نفسها إلى أن يتحرر تراڤيس من مسؤولياته؟

قالت بالحرف الواحد إن لديها أسبابها الخاصة التي تجعلها تطلب حماية خاتم الزواج من دون التورط عاطفياً. ورنت هذه الكلمات في

رأسه.

تقلّب في سريره مجفلاً بسبب ألم في ظهره من ليونة الفراش غير العادية، لكنه كان يعلم أنّ السرير الضيق ليس وحده سبب عدم راحته.

لقد قَبِلَ كلمتها عهداً، مراهناً عليها مستقبله، فهل كان أحمق في وضعه كل تلك الثقة في كلامها؟

* * *

كان تأثير دقات ساعة الحائط الرتيبة على أعصاب دايڤيد كقطرات الماء. وفكر بجفاء بأنه لا يمكن أن يتأخر في النوم بسبب هذا النوع من التعذيب الذي يجعل النوم مستحيلاً.

رفع الساعة عن الحائط وأزال البطاريات، لكن الصمت البالغ الذي ساد بعدئذ لم يشعره بالراحة أيضاً. لا عجب في أن أيف تحبّ هذه الشقق فالجدران سميكة إلى حد يشعر معه المرء أنه وحيد في هذا الكون.

لكنها ليست صورة مريحة تماماً.

من الأفضل أن ينهض ويفعل شيئاً. بعض التصاميم كانت تقلقه، كالعقد الذي يفترض أن ينهيه للسيدة مورغان والمصنوع من خواتم قديمة. لعل وضع بعض التصاميم ينسيه إيف.

مدّ يده إلى مقبض الدرج الأوسط، ثم توقف. فكرة فتح الدرج ولو لإخراج قطعة ورق بيضاء، أشعرته بعدم الارتياح، وكأنه يتطفل على عزلتها، لكنه حدّث نفسه بأنه غبي. فهو مقتنع بأنها أزالت كل أوراقها الشخصية من الأدراج، لذا لا يمكن أن يجد رسائل غرامية من تراڤيس نيت.

هزّ رأسه لتردده هذا ثم خرج على أطراف أصابعه إلى الردهة حيث ترك حقيبة أوراقه على المنضدة بجانب الباب الخارجي. وفي منتصف الطريق، أدرك أن ايف مستيقظة هي أيضاً لأن الضوء كان يتسرب من تحت باب المطبخ فيما هو واثق من أنه أطفأه.

كانت تجلس إلى المائدة وفي يدها قطعة «بيتزا» باردة وأمامها صحن.

بدت سيدة رائعة لا تأكل حتى البيتزا الباردة من دون أن تضعها في صحن.

قال: «أرجو أن يعجبك الطعام الحار. كان ينبغي أن أسألك قبل أن أطلبه لكن يبدو أنك كنت مستمتعة بالعبوس فلم أشأ أن أقاطعك».

استدارت فجأة فسقطت عن ركبتيها فوطة: «لم أكن عابسة».

تساءل عما إذا اختارت قميص النوم الفضفاض هذا وهي تفكر فيه، أم أن هذا هو ذوقها في قمصان النوم. فقد كان القميص أكبر من مقاسها بحوالي أربع مرات.

أما ما لم ينجح هذا القميص في إخفائه فهو رشاقتها، بل أظهر مفاتنها كما أظهر الكم معصمها وهي تضع البيتزا. وكان الحفيف الذي يصدر عنه كلما تحركت مغرياً، يلفت الانتباه إلى القدمين النحيلتين الحافيتين اللتين برزتا من تحته.

بشكل ما، بدا له هذا القميص أكثر إغراءً من قميص الدانتيل الشفاف الذي وصلهما إلى الفندق. فقميص الدانتيل كان مثيراً بما يكشف، أما هذا القميص فترك مجالاً للخيال.

ومخيلته ناشطة للغاية!

سألها نابذاً هذه الأفكار: «هل هذه آخر قطعة بيتزا؟».

ـ لا.

احتكت ذراعه بكتفها وهو يفتح الثلاجة فأحس بها ترتجف لا إرادياً، ما جعله يشعر بالضيق تقريباً. أتراها ظنت أنها في خطر؟ وأن ارتداءهما ملابس النوم يعني أنه لا يفكر إلاّ في موضوع واحد؟

قالت من دون أن تنظر إليه: «شكراً لأنك طلبت البيتزا».

ـ فتشت في أنحاء المطبخ فلم أر ما يؤكل.

ـ أعلم هذا. المرأة التي تهتم بما أحتاجه ستأتي، فإذا أردت شيئاً ضعه

على القائمة.

وأشارت إلى القائمة المعلقة على باب الثلاجة: «أنا عائدة إلى سريري، ماذا عنك أنت؟ أعني...».

واحمر وجهها.

وكأنني أتوقع دعوة منها! كما خطر له وهو يقول: «أظنني سأعمل لفترة».

نهضت واقفة: «سأراك في الصباح إذن».

وفي عجلتها، تركت البيتزا في الصحن. مدّ يده يأخذ قضمة منها قبل أن يتناول القلم ودفتر الملاحظات عن الرف ويبدأ بوضع تصميم.

ثم خطر له أمر... لم يظهر على إيف الاشمئزاز كما لم تسرع بالخروج خوفاً. لم يكن هو من يشكل تهديداً لأمنها بل هي التي تشكل تهديداً لما تؤمن به... وهي تدرك ذلك إلى حدّ ما.

يبدو واضحاً أنها واثقة من أنها ما زالت تحب تراڤيس، وربما ما زالت كذلك فعلاً. وقد تبقى على حبه على الدوام.

لكن وبالرغم من قناعتها الثابتة... وبالرغم من تصميمها على البقاء مخلصة للرجل الذي لم تستطع الحصول عليه... إلا أنها تابعت مسيرها تاركة تراڤيس خلفها عندما أنهت علاقتهما. عندما قررت ألا تنتظره، حررت نفسها من دون أن تعلم، وجعلت نفسها عرضة لاحتمالات أخرى. وسواء أدركت ذلك أم لم تفعل، فقد بدأ النهر المتجمد يتهشم ويذوب. بإمكانها أن تنكر ذلك ولكن لا يمكنها أن تقلل من صحته... إنها عاجزة.

وكان البرهان رعشتها تلك. هذه الرعشة نتيجة الإحساس، احساسها به... بالرجل الذي تزوجته.

أم أنه يخدع نفسه؟ ويجعل رغبته تقف في طريق تعقّله؟

لأنه لم يعد ينكر أنه يرغب فيها، أو لأن التحدي الذي تمثله يثير فضوله، تحدّي أن يذيب النهر المتجمد.

نظر إلى الدفتر فأدرك أنه لم يكن يضع تصميماً لعقد بل رسمت يده من دون وعي، تطريزاً بخيوط ملونة براقة كذلك الذي يحيط بياقة قميص نومها.

يظهر أنه انطبع في ذهنه، تماماً مثل إيف.

* * *

استيقظت إيف قبل أن يتوقّف جرس المنبه عن الرنين، وذلك بسبب حلم التف حولها فجعلها كالمومياء ودفنها في هرم ذي جو خانق. وأدركت حالما فتحت عينيها أن تفسير الحلم سهل. فقد كان الغطاء يغطيها إلى ما فوق رأسها كما التف قميص نومها الواسع حولها أثناء تقلّبها في السرير، فقيّد حركتها حتى كادت لا تستطيع النزول من السرير.

وفكرت بسخرية لاذعة في أنها إذا فشلت في تخليص نفسها فيمكنها أن تنادي دايڤيد ليخلصها. وما دام هو سبب وقوعها في هذا المأزق، فعليه أن يخلصها منه. فلولاه لما نظرت قط إلى قميص نوم أشبه بخيمة سيرك.

وعندما تحررت من قميص النوم نظرت إليه باشمئزاز. كان تأثيره على دايڤيد كما توقعته بالضبط. فالنظرة التي رمقها بها الليلة الماضية قالت إن الجدة العجوز أكثر إغراء منها... لكن ذلك الثوب لم يجعلها تشعر بالأمان الذي توقعته. تغطية نفسها بذلك الثوب الواسع جعلها تشعر وكأنها ملفوفة بورق مشمع. لحسن الحظ أن دايڤيد لم يعبأ بالنظر إليها... ولكن مع ذلك...

لم تجد ما يعجبها في الخزانة، فأخرجت ثوباً من سلة الغسيل ووضعت عباءة فوق ثيابها الداخلية ثم اتجهت إلى المطبخ لتكوي الثوب.

لم تجد أثراً لدايڤيد، لكن القهوة كانت جاهزة في المطبخ فسكبت لنفسها فنجاناً. كانت تحمّي المكواة حين دخل إلى المطبخ وهو يعقد ربطة عنقه.

ـ يمكنك أن تتناول الفطور بينما أرتدي ملابسي.

ـ نعم، ما دمت سآكل بقية بيتزا العشاء.

قالت وهي تكوي الثوب: «من منا المتذمر الآن؟ يبدو وكأنك لم تنم الليل».

ـ لم أنم جيداً. كنت أفكر.

ـ لن أسألك عما كنت تفكر فيه.

ـ هذا غير مهم لأنني سأخبرك على أي حال. كنت أفكر فيك وفي تراڤيس تيت.

وضعت المكواة بعنف: «إذا كنت ستسأل عن التفاصيل، فانسَ الأمر فهو ليس من شأنك وأنا لن أرضي فضولك».

ـ لا بأس، لا أريد أن أعرف شيئاً آخر، فقد سبق أن أخبرتني أن علاقتكما كانت كاملة.

نظرت إليه فاغرة فمها: «لا أتذكر أنني قلت شيئاً كهذا».

فقال بفروغ صبر: «أنت اعترفت بأن ثمة تفاصيل وتفاصيل مثيرة أيضاً، وإلا لما اعترضت على الحديث عنها».

ـ لن أرد على ذلك.

ـ ونتيجة لتلك العلاقة، قررت أن تمضي حياتك من دون أيّ علاقة حميمة مع رجل آخر. ما دمت لم تحصلي على تراڤيس، لا تريدين رجلاً آخر.

ـ وماذا في ذلك؟

فقال بهدوء: «لا يمكنك ذلك».

ـ إذا ظننت أنك ستصدر لي أوامر...

وتذكرت المكواة فأبعدتها عن الثوب بسرعة قبل أن يحترق القماش.

ـ أنا لا أصدر الأوامر إنما أقول حقيقة بسيطة.

ـ هل تظن حقاً أنني لا أستطيع قضاء حياتي من دون رجل في سريري؟

ـ نعم، هذا صحيح.

حدقت إليه بفضول صادق: «ولماذا؟».

ـ لعلك مصدومة الآن بسبب ما حدث مع تراڤيس، لكن عاجلاً أم آجلاً ستبدلين رأيك. وحدها المرأة التي لا تعرف ما تخسره هي التي تدير ظهرها لرغباتها.

ـ يبدو أنك لا تعرف النساء، وهذه هي مشكلة الرجال. فهم يظنون أن النساء مثلهم. لأنك تشعر بالحرمان، تفترض أنّ الشعور نفسه يتملكني.

ـ ربما ليس حالياً، لكن هذا سيحدث.

فقالت بجفاء: «إذا حدث هذا سأخبرك. ولكن لا تحبس أنفاسك توقعاً. في الواقع، ما شأنك في هذا؟».

ـ أنا المعني بالأمر. فعندما تتخلين عن تصرفك الثلجي، يُحتمل أن أكون أنا من تشعلين نيرانه.

ـ أراك تظن أن نوبة من الرغبة ستتملكني ذات يوم فأتشبث بأول رجل غريب أراه في الشارع. أم أنك ترجو أن أنقض عليك ذات ليلة لأنني أتوق لمن يهتم بي؟ هذا في أحلامك يا دايڤيد، فأنا منيعة تماماً.

فقال بنعومة: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

واستدارت لتنزع قابس الكهرباء فلم تره وهو يسير ليقف بجانبها. أخذ المكواة من يدها ووضعها جانباً ثم أخذها بين ذراعيه وضمها إليه.

بدا وكأن حرارة جسده أحرقت عباءتها وألصقتها بها. فكرت في أن تصفعه لكن يدها رفضت أن تطيعها.

حين عانقها في المطار لأول مرة، كان حاراً متطلباً، لكن الذنب كان ذنبها كلياً، فهي التي ارتمت بين ذراعيه. وفي المرة الثانية في العرس، كان متحفظاً أكثر بسبب الحضور الكثيف.

أما هذا العناق فكان حاراً مغرياً. عانقها برقة مؤلمة فيما راحت أنامله تتغلغل في شعرها لتصل إلى عنقها.

شهقت إيڤ، وشعرت وكأن النار اندلعت فيها. كل نفس تنفّسته كان

حاراً مؤلماً، لكن الأسوأ، كما أدركت عندما توقف عن معانقتها، هو أنه لم يستخدم معها ذرة من القوة، حتى أنه بالكاد أمسك بها في النهاية. لم يكن بحاجة إلى الامساك بها، فقد التصقت هي نفسها به.

ـ أما زلت تشعرين أنك منيعة؟

كان صوته أجش وكأنه يشعر بضيق في التنفّس.

ـ كل ما أشعر به حالياً هو الرغبة في أن أغرز سكيناً قاطعة في صدرك.

أضاءت عينيه ابتسامة بطيئة: «من العار أن أتلقى طعنة بسبب عناق واحد... أو اثنين...».

ومد يده ليجذبها إليه مرة أخرى فابتعدت عنه: «إياك أن تجرؤ».

شبك ذراعيه على صدره واتكأ على الحوض: «لا ضرورة لذلك لأنني بيّنت وجهة نظري، فأنت بعيدة عن المناعة يا إيڤ وأنت تعلمين ذلك. في الواقع، ستندمين عاجلاً أم آجلاً على ما تخسرينه».

ـ أظنك تفكر في أنّ عليّ أن أقيم علاقة معك.

هز رأسه فشعرت بوخزة عميقة في قلبها. لكنه قال:

ـ لا يمكن للمتزوجين أن يقيموا علاقة مع بعضهم البعض.

فتنفست الصعداء: «حسناً، هذا أمر مريح».

ـ لكنني أظن أنّ عليك أن تشاركيني فراشي. ستكونين سعيدة، وسأكون أنا أيضاً سعيداً، كما ستسعد هنري...

فقالت ببرودة: «أظن أنّ نسبة اثنين من ثلاثة ليست سيئة. لكنك أغفلت شيئاً يا دايڤيد، فقد وافقت على شروط، ولا يمكنك أن تغيّر قاعدة اللعبة الآن».

ـ أنت محقة. لن أفعل هذا.

نظرت إليه بحذر. فقال: «أظن أن تغيير القواعد يعود إليك. وعندما نقررين، أنا موجود».

ـ أرجو أن تستمتع بالانتظار لأنني لست ملزمة بأن أجعل حياتك

أسهل. لقد عقدنا اتفاقية، وليس الذنب ذنبي إذا تملكتك رغبة ما.

ـ آه، ما ألطف هذا.

ـ حسناً، أرجو ألا تهينني بقولك إنك تشعر نحوي بما هو أكثر من رغبة فأي امرأة تمرّ بك الآن سترضي غريزتك. كان هنري محقاً في هذا، على الأقل عندما رتب أمر...

ولمحت الأرقام الخضراء البراقة على الميكروويف فسكتت فجأة: «آه، لا!».

فنظر دايڤيد حوله: «ماذا؟».

فأشارت إلى الساعة: «سنتأخر مرة أخرى».

* * *

لقد تزوجت رجلاً حقيراً، هذا ما حدثت إيف نفسها به. فبما تصف رجلاً وافق على صفقة واضحة كاملة وعادلة، ثم تراجع عن كلمته؟

والأسوأ من ذلك هو أنه لم يدعها تشعر بالتشفي لأنها رفضته، فبدلاً من أن يُظهر خيبة أمل أو حتى استياء أو أن تُجرح كرامته، بدا وكأنه لم يلاحظ أنها رفضت عرضه كلياً. فقد أخذ يثرثر بكل رقة طوال الطريق إلى العمل. وعندما حاولت أن تتجنبه أمسك بذراعها وهما يعبران الطريق إلى المتجر، وتمتم وهو يفتح لها الباب: «حذار يا إيف. قد تجعليني أعتقد أن أقل لمسة مني تزعجك».

ابتسمت له وهي تصرّ على أسنانها: «هذا صحيح، ولكن ليس بالشكل الذي تظنه».

كان الجمع الذي ينتظرهما في المتجر أقل مما كان عليه أمس. وكان هنري في الوسط يسوّي قلادة على أحد صناديق العرض. توقف لينظر إلى ساعته: «آه، يا أولاد. تأخرتما نصف ساعة فقط اليوم».

فقال دايڤيد: «آسف لأننا خيبّنا أملك يا هنري فقد قالت إيف إنه بما أنكم تتوقعون حضورنا متأخرين ساعة على الأقل، يمكننا أن...».

داست إيف على قدمه بشدة. فأجفل دايڤيد لكنه لم يصمت: «ننهي الحديث الفلسفي العميق الذي كنا نتبادله».

رأته إيف منافقاً تماماً. وأخذت اثنتان من الموظفات تضحكان بصوت خافت وقد أعجبتهما النكتة. وفكرت هي عابسة في أن الطعنة النجلاء في الصدر التي توعدت بها، قليلة جداً عليه.

رفعت رأسها عالياً تنظر إلى الجمع، من دون أن تنظر إلى دايڤيد. ولاحظت لمحة تأمل في عيني هنري الذي بدا راضياً جداً عن نفسه.

من المؤسف أن أمله سيخيب. لم يطلب منها هنري أيّ تعهدات، لكنه لم يكن يخفي آماله في أن يثمر هذا الزواج وريثاً لعمله الذي أمضى حياته يرعاه ويحميه، وتملكها شعور بالذنب لأنه سيشعر بخيبة أمل بالغة عندما يعلم أن هذا لن يحصل أبداً.

لكن شعورها بالذنب سرعان ما استحال إلى ما يشبه السخط. فدايڤيد نفسه قال إن هذه الفكرة كلها رجعية وذلك عندما أخبرته عن هنري وآماله وأحلامه. فقد أجفل لأنها وافقت على خطة الرجل العجوز، وتملكه الارتياح عندما وضعت شروطها.

وها هو ذا الآن يماشي هنري في خطته، تاركاً إياها وحدها... وحيدة للغاية!

ما ضايقها حقاً هو سرعته في تغيير رأيه. فبرأيها وجد دايڤيد أنها أمامه، وله حق قانوني عليها نظرياً، فتملكته رغبة مفاجئة في انتهاز الفرصة.

يا للرجال!... وتأوهت في داخلها... هذا الوضع برمته ليس صحيحاً.

قال دايڤيد ببشاشة: «إنه دوري الآن في دفع ثمن الفطور يا هنري. لدي بعض الأفكار التي أريد أن أعرضها عليك».

أومأ هنري وأغلق صندوق العرض.

عندما اقترب الرجلان من الباب الأمامي، اعترضت إيف طريقهما: «المعذرة».

سألها دايڤيد ببشاشة: «هل شعرت بالإهمال يا حبي؟ آسف لأنني لم أطلب منك مرافقتنا، لكن بما أنك لا تحبين تناول الفطور...».

صرفت بأسنانها، فقد أصبح هذا عادة: «لا، شكراً. أردت فقط أن أذكركما باجتماعنا مع وكالة الإعلان لاحقاً هذا الصباح».

ـ هل قررتم عقد الاجتماع هنا أم في مكتبهم؟

سألها هنري فأجابت: «في مكاتبهم. بدا من غير المناسب أن نطلب منهم أن يحضروا معهم كل شيء وكل شخص إلى المتجر».

فأومأ هنري: «سنعود قبل الموعد بكثير».

ثم التفت إلى دايڤيد: «أين صرت مع قلادة السيدة مورغان؟».

ـ الأمر يسير بشكل حسن تماماً.

وتلاشى صوته وهما يخرجان: «والفضل لإيف، لأنها ألهمتني الليلة الماضية».

فكرت بضيق في أنها ستستمر في إلهامه. أي نوع من الحكايات سيقصها على هنري الآن؟

وجدت صعوبة في التركيز على جدول الرواتب وانتهت بأن حسمت من راتبها أكثر بكثير مما تحصله. وكيلا تجازف في اقتراف أخطاء أخرى وضعت جدول الرواتب جانباً متذرعة بتدفق الزبائن لكي تعود إلى منصات البيع.

لكن ما إن وصلت إلى غرفة العرض، حتى ندمت على تركها مكتبها. كانت استيلا مورغان تقف بجانب أحد صناديق العرض، وهي تدق بأظافرها المصبوغة على الزجاج، وتنظر شزراً إلى الموظفات المشغولات بالزبائن.

رسمت إيف ابتسامة على وجهها: «صباح الخير يا سيدة مورغان. أي

خدمة؟».

ـ جئت لأرى عقدي.

كادت تسمع صدى صوت هنري وهو يسأل دايڤيد عما فعله بشأن عقد مورغان. إذا كان دايڤيد لا يزال في مرحلة الإلهام...

وتشجّعت ثم ردّت: «آسفة لأنه لم ينته بعد».

كانت السيدة مورغان في مزاج سيء، فقالت: «أريد أن أرى القطع إذن. أريد أن آخذ فكرة عما ستكون عليه هيئته، لأتأكد من أنه مناسب لابنتي».

لم تكن تهتم من قبل بما هو مناسب، فما مشكلتها الآن على أيّ حال؟ لم يكن العقد هدية لفتاة في السادسة عشرة فابنة مورغان من عمر إيف.

ـ آسفة لأننا لا نعرض على الزبون مجوهرات غير منتهية الصنع.

ـ أنت إذن تعترفين بأنكم لم تبدأوا في صنعه بعد، أليس كذلك؟

فأجابت إيف صادقة: «أنا حقاً لا أعرف إلى أي حد وصل المشروع، وآسفة لأن دايڤيد ليس هنا الآن وإلا لسألته».

شخرت المرأة ساخرة: «هذا يعني أن لا فكرة لديه حتى».

ـ قد يأتي الإلهام في لحظة وقد يأتي بعد تفكير طويل. التصميم الرائع يأخذ وقتاً طبعاً...

وجدت نفسها تبحث عن الكلمات. لم يكن لديها فكرة عما يريد دايڤيد أن يفعل بتلك الخواتم. لكنها كانت تعلم أن كل ما ستقوله ستتذكره مورغان. وإذا لم يماثل وصفها الغامض الشكل النهائي، فستحدث مشاكل أكبر.

لحسن الحظ، قاطعتها المرأة: «ظننت أن رجلاً جديداً سيظهر بعض الحماسة لهذا المشروع، لكني أرى أن التأخير يزداد بدلاً من ذلك. أريدك أن تخبري هنري أنني أريد العقد في نهاية الأسبوع. إنه عيد ميلاد ابنتي

وأريد تقديمه هدية لها. وليضع في حسابه أن يصنع شيئاً ترغب في وضعه».

ـ سأوصل له رسالتك، يا سيدة مورغان.

اندفعت المرأة خارجة كالعاصفة في الوقت الذي دخل فيه هنري ودايڤيد، فوقفت تسدّ الباب وهي تبوح بما في نفسها مرة أخرى.

عندما تخلّص منها الرجلان ودخلا غرفة العرض، قالت إيڤ بسرور: «أظن أني غير مضطرة لأن أبلغكما الرسالة».

نظر إليها هنري مفكراً: «نعم، فقد أوضحت ما تريده. أتعلمين يا حبيبتي؟ أنا حقاً أحب الملابس التي تلبسينها هذه الأيام. إنها تجعلك تبدين أرقّ خلافاً لتلك البذلات التي ترتدينها عادة».

عندما اتجها إلى الطابق الأعلى حيث يعملان، نادت: «دقيقة واحدة يا دايڤيد».

فعاد إليها: «ماذا هناك يا إيڤ؟».

ـ أنا آسفة لأني أؤخرك عن العمل على عقد السيدة مورغان، لكن الذنب ذنبك لأنك ستبدأ الآن في العمل.

ـ ربما لم أكن في المنزل، لكنني كنت أعمل على العقد فعلاً.

ـ حسناً، قد تطول مدة الفطور، لكن عليك أن تعود في الوقت المناسب من أجل الغداء.

فأخرج من جيبه بطاقة: «هل تحملين قلماً؟».

ـ لماذا؟ ماذا تفعل؟

ـ أدوّن ملاحظة لكي أحضر لك بعض الفاكهة المجففة... ربما خوخ.

عضت شفتها وهي تسير أمامه إلى مكتبها حيث جلس قرب المكتب. وفجأة انحنى يفحص قدمه: «انظري ماذا فعلت بحذائي عندما دست على قدمي هذا الصباح فيما لم أفعل سوى...».

ـ هذا لا يقارب ما سأفعله إذا بقيت تثير هذا الظن لدى هنري.

فارتفع حاجباه: «أتقولين إنني من يثير ظنونه؟».

ـ نعم. أنت تتعمد أن تجعله يعتقد أننا... أننا...

فرفع يده: «إنتظري لحظة. التصرف بهذا الشكل فكرتك أنت منذ البداية».

ـ أظن أنك محق في هذا، ولكن...

ـ أنا محق بكل تأكيد. أتذكر بوضوح أنك قلت إن ما لا يعرفه هنري لن يؤذيه.

ـ عنيت فقط أن أجعله يستنتج بنفسه، فأنا لم أشأ أن أختلق مشهداً مسرحياً لأقنعه بأننا نعيش كزوجين بينما نحن لسنا كذلك. سيتألم حقاً عندما يدرك أننا كنا نتظاهر وحسب، وأنا لا أريده أن يتألم.

فوقف: «ثمة جواب بسيط لهذا. دعي التظاهر جانباً».

وقبل أن تجيب، حيّاها بتحية شبه ساخرة وخرج.

* * *

٧ ـ غيرة قاتلة

بدا واضحاً لإيف منذ اللحظة التي دخلوا فيها، أنّ فريق العمل قلق من أن يخسر متجر بيرمنغهام ومتلهف للاحتفاظ به كعميل. كان المجتمعون حول الطاولة المستديرة أكثر مما توقّعت في اجتماع لبحث حملة دعائية واحدة، فيما بقيت ثلاثة مقاعد خالية. وكأن هذا الحشد لم يكن كافياً، فقد رأت صفاً من عربات الطعام المحمّلة بصواني الأطعمة المختلفة.

تمتم دايڤيد في أذنها: «لطف منهم أن يدعونا على الغداء».

ـ إنها خدعة ماهرة إذ لا يمكننا أن ننسحب من اجتماع على مائدة الغداء من دون أن نبدو عديمي التهذيب.

ـ ومن الذي يريد أن ينسحب من غداء ضخم كهذا؟

فقالت بجفاء: «يبدو أن ثمة من تحرى عنك».

ثم رأت الموظفة التي تهتم بحساباتهم عادة وكانت تبدو على عجلة من أمرها، فصافحتهما ثم احتلت أحد المقاعد الخالية تاركة المقعد الأوسط لهنري.

لكن هنري جلس في الطرف الآخر ما جعل دايڤيد يحتل المقعد الأوسط. وقد أظهر ذلك، كما رأت إيف، مدى تغيّر الأمور في «متجر بيرمنغهام»، أو على الأقل، كم يرغب هنري في أن يظهر أنّ الأمور تغيرت.

شرعت إيف تقول: «طلبنا هذا الإجتماع لنناقش الحملة الدعائية

الاستراتيجية الكاملة للإعلان عن معرض متجر «بيرمنغهام» للسنوات القليلة القادمة».

ضحكت امرأة سوداء الشعر وقالت: «هذا برنامج ضخم، فلنبدأ إذن بتناول الغداء. أنا جين ريزنور».

لم تضف أنها شريكة هامة في الوكالة، ولم تكن بحاجة الى ذلك بالنسبة الى إيف على الأقل. فاسمها يظهر في أعلى رسائل وكالة الإعلان. وأدركت إيف انهم أحضروا الأقوياء من بينهم.

كانت إيف تضع الخردل على شطيرتها عندما سمعت صوت جين ريزنور المنخفض يقول لدايڤيد: «أنت إذن الشاب صاحب الابتكارات الجديدة كلها، الشخص الذي علينا أن نرضيه».

أرادت إيف أن تقول لها إن التزلّف لن ينفعها فيما أجاب هو ببساطة: «وصاحب الاستفسارات كلها». جلست إيف هادئة خلال الاجتماع، لكنها لم تستطع إلاّ أن تعترف بأن دايڤيد محق. فالخطة الإعلانية هذه لا تختلف عن خطة السنة الماضية والسنة التي سبقتها. صحيح أنه لم يكن ثمة خطأ فيها، إلاّ أنها تفتقر إلى التقدم والإبداع.

خرق دايڤيد الصمت: «هذا عمل كفوء، لكننا بحاجة إلى ما يجذب سوقاً جديدة وزبائن أصغر سناً فمعدل أعمار زبائننا أعلى مما نحب، وهو آخذ في الارتفاع».

وتساءلت إيف إن كان دايڤيد قد أدرك ذلك من نفسه في حوالى عشرة أيام أمضاها في العمل أم أن هنري أخبره بذلك.

استوت جين ريزنور في جلستها: «حسناً يا دايڤيد، هل يمكنني أن أناديك دايڤيد؟».

ـ إنه اسمي يا جين.

ـ يمكننا أن نوجه اعلاناتنا إلى جمهور أصغر سناً إذا شئتم، لكن عليك أن تعترف بأن الجيل الجديد لا يطلب الأنواع التي يطلبها عادة

زبائنكم المنتظمون.

واستقر نظرها بشكل خاطف على يد إيف، متأملة خاتم زواجها: «معظم الجيل الجديد لا يريد أن يلبس الأنواع نفسها التي كان أجدادهم يلبسونها».

حمل صوتها معنى ساخراً فلم تصدق إيف أذنيها. هل توجّه تلك المرأة الإهانة لها أم أنّ الجملة جاءت مصادفة؟ ثم تأملت جين بنفور عقد إيف اللؤلؤي، فتأكدت هذه الأخيرة من أن الأمر لم يكن مصادفة.

وتابعت جين: «يمكننا أن نضع الإعلانات في أي مكان تريدونه، لكن إذا لم تكن المجوهرات تناسب أذواق الناس الموجهة إليهم فاللوم لا يقع علينا إذا لم يشتروها».

فقال دايڤيد: «ستكون لدينا اتجاهات جديدة».

نظرت إليه متأملة: «في هذه الحالة، تذكرت الآن حملة ناجحة جداً قمنا بها منذ سنوات، حيث صوّرنا صاحب العمل مع نساء يلبسن انتاجه... امرأة مختلفة في كل شهر».

ضحك هنري: «كما أتذكر، اللباس المعلن عنه كان ملابس داخلية. عليّ أن أعترف بأن الفكرة أعجبتني، رغم أنني لم أفهم قط كيف فعلوا ذلك. كتلك الصورة في التزلج مع امرأة تلبس ثوب ساتان أحمر...».

فقالت إيف بهدوء: «كانت تلك دمية».

ـ دمية، توب، مهما كانت.

ـ لا أعرف. لهذا نستأجر مصوراً ماهراً.

كانت جين تنظر إلى دايڤيد بحرارة: «يمكننا أن نعتمد الطريقة نفسها بالنسبة إلى المجوهرات. وسامتك الخشنة تعشقها الكاميرا، يا دايڤيد. لذا، يمكننا أن نجعلك الشخصية المركزية في الإعلانات، فتظهر مع مختلف العارضات».

سمعت إيف ما يكفي ليجعلها تعارض هذه الفكرة، لكنها تنفست

بعمق، إكراماً لهنري، وحاولت أن تتفهّم المسألة. لعل العرض يستحق التفكير رغم أنها لا تراه كذلك حالياً: «ربما يمكننا أن نتشارك مع أحد المخازن التي تتولون إعلاناتها».

فسألتها جين بفتور: «لماذا؟».

ـ لتجهيز ملابس العارضات. بإمكاننا أن نضع خطة تعاون للإعلان مع...

ـ أظننا سنستغني عن الثياب كلياً.

ـ عفواً، لم أفهم.

قالت إيف هذا ببرودة الثلج فردّت جين: «بالنسبة إلى العارضات على الأقل. أنت تريدين أن تسترعي المجوهرات الانتباه وليس ما تلبسه العارضة، لذا إذا لم تكن الفتاة تلبس شيئاً على الإطلاق...».

ـ عارضات عاريات؟

ـ سيكون عملاً رائعاً. لكني لا أتحدث عن تصوير الفتيات بشكل كامل.

فقال هنري باسماً: «هذا حسن، وإلا فلن تلفت المجوهرات الأنظار مهما كانت».

فقالت إيف بصوت منخفض: «إلا إذا أقنعنا دايڤيد بأن يضع حلقاً للسرة».

نظر إليها دايڤيد بشبه ابتسامة وكأنه يقول إنه فكر فعلاً في ذلك. بقيت جين تتأمل دايڤيد وكأنه معروض للبيع: «من المؤسف أنك متزوج. لكن ربما بإمكاننا إخفاء ذلك وسنشترك معاً في بعض المشاريع».

فقال هنري: «سنفتح بيتنا قريباً لتقديم دايڤيد إلى عملائنا».

فقالت جين باندفاع: «ستكون هذه بداية رائعة لحملة الدعاية... ستسير العارضات بين الجموع وهن يضمن المجوهرات الجديدة».

وتساءلت إيف بينها وبين نفسها عما سيلبسن غير ذلك. وقالت

لجين: «أكره أن أعرقل خططك يا جين، لكن شركة التأمين ستعارض إذا ما أخبرناهم بهذا المشروع. وسيصرون على أن نرسل خلف كل عارضة حارساً... أو بالأحرى خلف كل قطعة مجوهرات. أنا واثقة من أن هذه الصورة ليست الصورة التي تفكرين فيها».

هزت جين كتفيها: «أنا واثقة من أننا سننجح».

قالت هذا من دون أن تنظر إلى إيف وتابعت تخاطب دايڤيد: «سأتصل بك قريباً جداً يا دايڤيد لأعرض عليك بعض الشعارات الجديدة وأرى رأيك فيها».

فكرت إيف في أنها اكتفت فقالت: «نشكركم جميعاً. ولكن إذا شئتم أن ينجح هذا العمل، فعلينا أن نعود لنبدأ العمل على التصاميم الجديدة».

وعلى الرصيف أمام البناية، كانت إيف ما تزال تغلي وتتمتم: «يا لوقاحة تلك المرأة!».

فقال هنري: «يخيّل إليّ أنها خطة إعلانية جيدة. طبعاً، علينا أن ننتظر لنرى ما سيفعلونه. أرى أن أعود إلى المتجر سيراً على القدمين فالجوّ جميل، كما عليّ أن أعتاد على فكرة أنّ لدي مزيداً من أوقات الفراغ».

وسار مبتعداً وهو يصفّر ويلوّح بعصاه، فيما أوقف دايڤيد سيارة أجرة، ثم أمسك بابها لأيف لتصعد وهو يقول: «هذا من حسن حظنا، إننا بحاجة لبضعة دقائق لنتحدث».

ـ عن ماذا؟

ـ عن سبب رغبتك في إضعاف معارضيك.

فثار طبعها: «إسمع يا دايڤيد، أعلم أن فكرة أن تكون أنت الشخصية المركزية في الإعلانات ضربت على وتر حساس، وتر رجولتك. ولكن إذا كنت لا تستطيع أن ترى محاولات تلك المرأة للسيطرة عليك بالحيلة، فعلى شخص آخر أن يثبّت قدميك على الأرض!».

ـ أظنك أخبرتني هذا الصباح أنك لا تريدين أن أجعل هنري....

يعتقد أن علاقتنا علاقة زوجية كاملة».

فغرت فمها: «أحدّثك عن الإعلانات، فما دخل هنري في ذلك؟».

ـ لأن الأسباب التي تدفعك إلى رفض الحملة الإعلانية غير معقولة. الأمر أشبه بالغيرة.

انحبست انفاسها في صدرها وشعرت بغصة. غيورة؟ لقد استمع إلى ذلك الحديث فكان كل ما استنتجه هو أنها غيور؟

وقال: «واجهي الحقيقة يا حبيبتي، إذا كنت لا تريدينني، فلا تكوني، كما يقول المثل: (لا ترحمين ولا تدعين رحمة الله تنزل)».

فقالت ثائرة: «اسمع، أظن أن جين ريزنور مستعدة للعبث مع أيّ كان للحصول على حملة إعلانات. لكن ذلك لا يعني أن معاملتها لك أثارت فيّ شعوراً معيّناً، إذا كنت تتوهم بحيث تظن أني أهتم بشيء آخر عدا متجر بيرمنغهام».

فقاطعها: «في الواقع، إذا تابعت التصرف كغولة خضراء العينين، فلا تلومي هنري إذا أخطأ الفهم!».

* * *

انتهى دوام العمل في المتجر وخرج الموظفون، لكن إيف لم تلاحظ ذلك. فقد أمضت معظم فترة العصر في إصلاح الخطأ الذي أحدثته في جدول الرواتب، ووضع جداول العمل للأسبوعين التاليين. وعندما انتهت كان الظلام يلف المكان باستثناء النور الذي ينعكس على السلالم من غرف العمل في الطابق العلوي.

أقفلت أدراج مكتبها وصعدت السلم. كانت طاولة عمل هنري مغطاة بالأقمشة والأدوات لكنه لم يكن جالساً إليها بل واقفاً في الزاوية ينظر من فوق كتف دايڤيد. سمع صوت خطوات إيف فأشار إليها بالاقتراب: «تعالي وانظري إلى ما أبدعه زوجك».

تقدمت نحوهما كارهة فنظر إليها جدها: «ماذا حدث يا عزيزتي؟».

فكرت في أنها لا تستطيع أن تخبره في حضور دايڤيد، رغم أنها لم تجد مانعاً الآن في أن تحدثه بكل الحقائق سواء أكان دايڤيد موجوداً أم لا، إذ سيكون من الأفضل أن يسمع زوجها كلامها.

لكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على ذلك. دايڤيد يستحق الضرب والطعن، لكن هنري يستحق معاملة ألطف. ستنفرد به غداً وتذكّره بوجه بشوش بأنه جزء من الاتفاقية التي بينهم، لذا عليه ألاّ يصل إلى استنتاج خاطىء بسبب المظهر الخارجي.

فقالت: «كان اليوم مرهقاً».

ـ هل كان الزبائن متعبين؟

ـ فلنقل إن بعضهم غير عادي. هل تتذكر تلك الياقوتة الكبيرة التي وضعتها في قلادة قبل عيد العشاق مباشرة؟

ـ هل حدث شيء للقلادة؟

ـ الزبونة التي انتهت إليها، تقسم بأن ثمة لعنة تتصل بالياقوتة. جلست معي أغلب فترة العصر تخبرني بكل الأمور الغريبة التي حدثت لها منذ اشتراها لها حبيبها.

فقال دايڤيد: «ياقوتة تحمل لعنة؟ هذا محتمل جداً. بإمكاننا أن نعيد إليها مالها ثم نحوّل القلادة إلى حلية تجذب السياح مثل «ماسة الأمل» المشهورة».

فقالت: «ثق بأن اللعنة الوحيدة التي تحملها تلك الياقوتة هي الرجل الذي أهداها إياها».

ونظرت إلى منضدته وحبست أنفاسها: «هل هذا ما تفعله بخواتم السيدة مورغان؟».

رأت على الطاولة شبكة ذهبية رقيقة وناعمة كأجنحة ذكر النحل. وعند كل عقدة نتوء ذهبي فيما نُثر عليها أحجار كريمة من مختلف الألوان

والأحجام، فتألقت كقطرات الندى على شبكة عنكبوت.

قالت: «من يحتاج إلى ياقوتة ملعونة لكي يجذب السياح؟ إذا لم تعجب هذه القلادة السيدة مورغان، فسأبدأ بها متحفاً».

فقال دايڤيد بهدوء: «شكراً».

ورفع بصره إليها فشعرت بفمها يجف. يا له من رد فعل غبي! لقد مدحته مديحاً بريئاً فتقبله بلباقة رجل لا يحتاج إلى مديح لأنه يعلم قيمة ما يصنع. فلماذا اضطربت لمجرد نظرة وكلمة بسيطة؟

قال هنري بنظرة محبة إلى دايڤيد: «أهنىء نفسي على حسن فراستي. إذا كنت ستذهبين إلى البيت الآن يا إيڤ، فسأرافقك».

عاد إلى طاولته ليقفل أدراج مكتبه مفترضاً موافقتها. وكانت إيڤ لا تزال تتأمل القلادة بإعجاب: «هل أنت جاهز يا دايڤيد؟».

ـ سأبقى هنا لأنهي هذه.

بدا غريباً أن تتملكها خيبة أمل لذهابها وحدها، فيما تمنّت في الليلة الماضية لو تنفرد بالشقة بأي ثمن. لكنها حدثت نفسها بأن ما تشعر به ليس خيبة أمل. الآن، لم يعد لديها عذر لكي ترجىء حديثها مع هنري حتى الغد ولعل هذا هو سبب شعورها الغريب هذا.

عاد هنري بعد لحظة، فقالت إيڤ لدايڤيد: «أراك في ما بعد إذن».

وقف دايڤيد، وبحركة آلية اقتربت منه ليعانقها. ومن فوق كتفه، لمحت عيني هنري تتألقان، والسرور يبدو عليه.

تملكها شعور بالذنب وهي ترى أنها تضلل جدها مرة أخرى.

شجعت نفسها، وحالما خرجا قالت له: «هنري، أقدّر لك حقاً أنك لم تسألني عن حالنا، أنا ودايڤيد... لكنني في الحقيقة...».

ـ لا أحتاج إلى طرح أيّ سؤال. أتساءل إن كنا سنجد سيارتيّ أجرة في هذا الوقت من الليل.

لكن إيڤ لم تكن تصغي بل تابعت: «لكن هذه هي المشكلة، لأن

الأمر يبدو وكأننا. . . هنري، أعلم أنك ترجو أن تحصل بهذا الزواج على وريث. لكن يجب أن أخبرك. . .».

قطّب قليلاً: «وريث؟ يا لها من كلمة رجعية! أنا لم أقل هذا أبداً».

شعرت بدوار. هل فقد هنري الإحساس بالواقع؟ أم هي؟ وحاولت أن تستعيد في ذاكرتها الأحاديث التي دارت بينهما لكنها لم تستطع. لقد تحدّثا كثيراً في الأشهر الأخيرة وهي لا تتذكر حقاً من قال ذلك.

ـ لا أستطيع أن أثبت أنك قلت ذلك حقاً، لكن التلميحات كانت واضحة.

فقال وهو يلوّح لسيارة أجرة: «آه يا عزيزتي، أنا أذكى من أن أقول شيئاً من هذا النوع».

فتحت فمها لكنها لم تقل شيئاً. وتابع هو: «ولو فكرت ملياً في ذلك لأدركت حماقة هذه الفكرة».

ـ نعم، إنها كذلك. هذا هو السبب في. . .

ـ كون الدم واحد لا يعني وراثة الموهبة نفسها. كان ينبغي أن يسري حب الماس في دم أبيك، لكنه كان أبعد ما يكون عن هذا العمل. وأنت أيضاً. . .

فقالت باستياء: «هنري، أنت تعلم جيداً مقدار حبي للمتجر».

ـ هذا صحيح، لكني أحسنت حين لم أعتمد عليك كلياً. أنا أحبك يا إيف لكن فكرة جلوسك إلى طاولتي ومحاولة إبداع قلادة تصيبني بكابوس. على أيّ حال، سأكون مجنوناً إذا تطلعت إلى المستقبل البعيد، مركزاً اهتمامي على طفل لم يفكر فيه أحد بعد.

فتح لها باب السيارة فجلست صامتة بينما أضاف: «وهذا لا يعني أنني لا أريد حفيداً. الحقيقة أنّ أي ذرية منك ومن دايڤيد تعني الكثير من دون أخذ توقعاتي أنا بعين الاعتبار. حسناً، هذه سيارة أجرة أخرى قادمة. سأراك غداً يا عزيزتي».

راح رأسها يدور من تأثير هذا الحديث. من المؤكد أن اقتناعها بأنه يريد وريثاً لم يأت من العدم، وهي واثقة من أنها لم تختلق ذلك. لعل هنري لم يقل ذلك بالحرف، لكنه قال أو فعل من دون شك ما ترك لديها هذا الانطباع.

أم لعلها أساءت فهم جدها كلياً؟ وافترضت أن هذا ما يريده هنري؟

توقفت سيارة الأجرة، فنزلت وسارت على الرصيف محاولة أن تنبذ من ذهنها تأثير كلام هنري.

عندما دخلت المبنى استقبلها وكيل البناية: «لم أعرف ما عليّ أن أفعله بالصناديق ومحتوياتها يا آنسة. . . عفواً يا سيدة إليوت. لهذا وضعتها عند باب المصعد أمام شقتك».

ـ صناديق؟

ـ نعم، لم أشأ أن أدعهم يدخلون شقتك في غيابك، لمجرد أنهم قالوا إنهم من شركة نقل.

أخذت بريدها من الصندوق قرب الباب وأسرعت تضغط على زر المصعد. لا شك أن إحضار أمتعة دايڤيد من اتلانتا إلى واشنطن استغرق وقتاً طويلاً. وهذا لا يعني أنها متشوّقة إلى انتقاله إلى شقتها. واستندت إلى الجدار وتثاءبت، ستفكر غداً في ذلك.

ما إن توقف المصعد وخرجت منه حتى جمدت فجأة. كان الرواق الصغير مليئاً بالصناديق وبراميل البلاستيك والصناديق الخشبية، حتى لم يبق سوى ممر صغير إلى بابها.

تصاعد صوت جرس المصعد ينبيء عن طالب له فقفزت منه إلى حيث وقفت تنظر إلى كرسي رث بذراعين. وفي أبعد زاوية من الرواق، رأت ظهر خزانة صغيرة للعرض وطاولة صغيرة. أملت أن تكون الطاولة قوية، حين رأت صندوقين بحجم تلفزيون كبير الحجم فوقها.

أشياء قليلة. . . كما فكرت بعجز. . . قال إنه شحن أشياء قليلة!

حملت بعض الصناديق بطاقات كبيرة حمراء كُتب عليها (زجاج قابل للكسر)، وعلى البعض الآخر ملاحظات بقلم أسود. وقد كتب على صندوق (خزائن مطبخ). دار رأسها ووجدت نفسها تتمنى أن يكون الكاتب يعني أدوات مطبخ وليس المطبخ نفسه.

توقف المصعد وخرجت منه جارتها السمينة الشقراء التي تكبرها بعدة أعوام، فبادرتها إيڤ من دون وعي: «آسفة لكل هذه الفوضى».

ـ أرجو ذلك، لقد أخبرت الحمالين أن ليس بإمكانهم تركها هنا، لكنهم تجاهلوا كلامي.

ـ حالما يأتي زوجي من العمل...

ـ هل هذه أغراضه؟

ولمعت عينا المرأة ورقّ صوتها وانخفض ليصبح كهديل الحمام.

قد تعرض عليه غرفة النوم الاحتياطية في شقتها فتتمكن إيڤ من وضع هذه الأغراض مكانه... كما أخذت تفكر.

وأخذت تتساءل أين تضع كل هذا وأين كان يضعها في اتلانتا؟ لكن ألم يقل إنه كان يملك شقة هناك؟ لا بد أنها كانت فسيحة.

سارت إلى الصناديق التي كُتب عليها قابل للكسر والموضوعة فوق بعضها البعض. كان الصندوق الأعلى يهتز بعدم ثبات، فحملته ودخلت به إلى حيث وضعته في المطبخ وتناولت الهاتف.

أخذ الهاتف الخاص في المتجر يرن ويرن. هل أنهى دايڤيد عمله وعاد إلى البيت؟ أم أنه في وسط عمل دقيق لا يستطيع تركه؟

لكنه أجاب أخيراً: «نعم؟».

ـ أنت مطلوب إلى هنا وبسرعة.

سكت لحظة ثم أجاب بلطف: «كنت أرجو أن تفتقديني. لكنني لم أجرؤ على التفكير في أن هذا سيحدث بهذه السرعة».

ـ دعك من هذا يا دايڤيد، فالأماني لن تغير مشاعري.

ـ أه... لا، لقد فهمت الآن. لقد استسلم هنري للشروط وأنت تريدين أن تشاركيني الخبر السيء.

ـ ولا هذا أيضاً. كان الحمالون هنا، وإذا أنت لم تأت خلال نصف ساعة فلن أكون مسؤولة عن محتويات أي صندوق كُتب عليه (قابل للكسر).

ـ هذه أطباق جدتي الصينية.

تملكها الفضول رغماً عنها. أتراه احتفظ بهذه الأطباق ونقلها معه؟

نظرت إلى الصندوق الذي أدخلته معها. لم يكن ثقيلاً بالنسبة إلى صندوق يحتوي أطباقاً، إلا إذا كانت قطعة واحدة رقيقة للغاية. وكأن دايڤيد استطاع رؤية نظرتها التي تتأمل الصندوق، فقال لها: «يمكنك أن تفتحيها».

ـ إذا شعرت برغبة قاهرة في أن أفتح الأمتعة فسأبدأ بها، لكن لا تعوّل على ذلك.

ووضعت السماعة ثم ذهبت تغير ملابسها لترتدي جينز وكنزة. وعندما عاد إلى المنزل كانت في المطبخ تحضّر صلصة السمك.

وقف بباب المطبخ حاملاً صندوقين: «فهمت ما عنيته. لم أدرك أنني أرسلت هذه الأمتعة كلها، أو لعلها تبدو كثيرة في هذا المكان الصغير... يا للرائحة الشهية! لم أكن أعلم أنك تجيدين الطهي يا إيڤ».

ـ أنا لا أجيد الطهي في الحقيقة، لكنني تصورت اليوم أنك ستحتاج إلى قوة تعينك على نقل تلك الأمتعة. وإذا كنت أطهي، فلن تتوقع مني أن أساعدك.

ـ تصورت فعلاً أن هناك هدفاً خفياً وراء ذلك.

ـ أتمنى لك حظاً سعيداً لأنك ستكون بحاجة إلى ذلك.

وأشارت إلى الصندوق الذي أدخلته، وكان مفتوحاً.

قال وهو يكشف عن محتوياته: «لم تستطيعي مقاومة رغبتك في

فتحه، أليس كذلك؟».

ـ أدخلته فقط لفتح الطريق، وفتحته بعد أن قلت إن بإمكاني ذلك وإنه يحتوي على أطباق وإنه قابل للكسر بينما هو ليس كذلك كما ترى.

ـ ما زال قابلاً للكسر.

وأخرج مركباً بلاستيكياً بشكل حراشف السمك... وسفينة حربية قديمة فيها قاذفات لهب على جانبيها. كانت ملفوفة بمناديل ورقية بعناية بالغة، وقال بسرور: «كدت أنسى هذه. إنها أول نموذج صنعته لمركب بحري حين كنت صبياً صغيراً. وهو الوحيد الذي احتفظت به».

ـ أرحتني فقد خشيت أن أفتح صناديق أخرى وأجد مزيداً من هذا.

ـ لا مزيد من المراكب إذ سرعان ما انتقلت إلى الطائرات. كنت قد بدأت أبني نماذج سفن بالزجاج عندما اكتشفت أن العمل بالذهب والجواهر يحمل متعة أكبر.

وأخذ لفافة مناديل ورقية من زاوية الصندوق وفتحها ونظر بشرود إلى نصف أنبوب من الصمغ سقط في يده: «لكنني لم أتوقع منهم أن يشحنوا مثل هذه الأشياء».

ـ هل تركت حرية التصرف لمستخدمي شركة النقل؟ ألم يسبق لك الانتقال من قبل؟ لا بد أن هذا حدث.

ألم يقل عند دخولهما إلى «جناح العرائس» إن بعض الشقق التي سكنها كانت أصغر منه؟

ـ انتقلت لمسافات قصيرة فقط. كنت أجمع بعض الشبان وننقل حاجياتي في يوم واحد.

ـ ثم تجلس وتتفرج على المباريات الرياضية حالما يُثبّت جهاز التلفزيون. وهذا يفسر الصمغ.

ـ ما الذي يفسره؟ لم أكن أعلم أنّ لديّ صمغ.

ـ الناقلون يحزمون كل شيء لزيادة الوزن خاصة إذا كنت تحاسبهم

على الوزن كما حصل لصديقة لي انتقلت، فوجدت أنهم حزموا لها أقلام تلوين مكسرة لأطفالها وكل قلم في منديل ورقي.

ـ لا عجب في وجود هذه الصناديق كلها، إذا كانت مليئة بأشياء كهذه.

وأعاد انبوب الصمغ إلى الصندوق.

ـ لماذا لم ترم هذا الأنبوب في القمامة؟ إذا لم تفرغ سلة المهملات قبل حضور فريقَ شركة النقل فلعلهم حزموا أيضاً المناديل الورقية المستعملة والبريد الممزق الملقى في السلة.

بدت عليه الكآبة... فرأت أن هذا أفضل من الغزل.

قالت: «يمكنك أن تكدّس صناديقك كلها في غرفة الجلوس أمام خزائن الكتب».

ـ هل أنت واثقة من أنها لن تعرقل الطريق؟

ـ ستعرقل الطريق طبعاً. لكن ذلك أسهل من وضعها في أي مكان آخر من الشقة. بعد نقلها من الرواق الخارجي، يمكنك أن تفتحها في ساعات فراغك.

وهذا سيشغله عنها! وحركت المرق ثم غطت القدر.

ـ إذا كان ذلك لا يتطلب انتباهك الكامل.

فهزت رأسها: «سأقرأ الإعلانات عن المتجر. وسنبدأ البحث عن بيت غداً، وإذا حالفنا الحظ فسننتقل إليه في عيد الميلاد. هل تريد سماع بعض الموسيقى؟».

***

٨ ـ الحقيقة المذهلة

ذُهل دايڤيد لعدد الصناديق في الرواق. لم يكن يتصور أنه يقتني كل هذه الأغراض، لكن كل هذا لا يقارن بالصدمة التي واجهته في المطبخ. لم يكن قد رأى إيڤ من قبل وهي ترتدي الجينز. لم يستطع أن يعرف ما إذا سكبت نفسها في البنطلون أم أنها صبغت ساقيها بشكل بنطلون. ومهما كانت الطريقة، جاءت النتيجة مذهلة.

كان يعلم منذ البداية أن قوامها حسن. البذلة الحسنة التفصيل التي كانت ترتديها عندما رآها لأول مرة لم تستطع أن تخفي تناسق قوامها رغم جهدها في إخفاء ذلك. وحتى وإن نجحت، فذاك العناق في المطار حدّثه بأنها رائعة.

أخذ ينقل الصناديق إلى الشقة والذهول لا يزال يتملكه. وكلما مرّ بباب المطبخ لم يكن يستطيع منع نفسه من النظر إليها. تأملها وهي تحرك صلصة السمك على الموقد، وهي تستند إلى الطاولة وأمامها الصحيفة، وهي محنية على غسّالة الأطباق...

حاول أن يركز اهتمامه على الصناديق. لماذا لا يزال يحتفظ بكل هذه الأغراض؟ كان قد باع بعض أثاثه، وأرسل البقية إلى مراكز الإحسان قبل مغادرته إتلانتا. لكنه استثنى الكرسي الجلدي الأحمر وصندوق العرض وطاولة العمل، وتوقع أن تملأ مقتنياته الباقية دزينة من الصناديق.

كان يعمل منذ مدة عندما أحضرت له إيڤ كأساً طويلة من الشاي

المثلوج فشرب نصفها في جرعة واحدة وقال: «رغم أنني لم أبدأ بعد بممارسة الرياضة إلا أنني عندما أنتهي من هذا الجبل أكون وكأني قد مارست رياضة رفع الأثقال لسنة كما أتصور».

- غرفة الجلوس تبدو كسور الصين.

- أعرف هذا. عندما أنتهي، سأبدأ بفتح الأمتعة فإذا كانت بقية الصناديق مليئة بمناديل الورق كالصندوق الذي فتحته أنت...

- لا أظنك ستكون محظوظاً إلى هذا الحد.

ومرت بيدها على الطاولة التي أدخلها لتوّه: «إنها جميلة».

- يسرّني إعجابك بذوقي.

رمقته بنظرة جانبية: «لم أقل هذا بالضبط. كرسيك هذه مثلاً رثة في بعض المواضع».

- كانت هذه كرسي أبي المفضلة.

- خطر لي فعلاً أن لها قيمة عاطفية عندك، خصوصاً وأنّ ما من شيء غير عادي فيها. حسناً، علينا أن نبحث عن منزل فيه غرفة إضافية لتستخدمها كمخزن لصناديقك هذه. غرفة شخصية جداً ومظلمة جداً بحيث لا يرى داخلها غيرك.

فقال: «حتى زاوية في قبو تنفع».

التفتت إليه وقالت: «إذا كنت تحاول أن تبدو مسكيناً، فأنت تضيّع وقتك. أنت لست ماهراً في ذلك».

- إذا كنت لطيفاً معك، فهل تحرصين على أن تختاري لي زاوية جافة في القبو؟

- دع عنك هذا يا دايڤيد. الحقيقة هي أنني أشعر بالأسف عليك... حتى أنني سأساعدك في نقل صندوق.

ومدت يدها إلى الصندوق الأقرب إليها فيما شرب هو جرعة أخرى من الشاي: «لقد غمرتني بفضلك. وطبعاً، ما دمت عائدة إلى

الشقة...».

وسكت فجأة حين أدرك أي صندوق اختارت. وقبل أن ينذرها بأنه أثقل مما تتوقع، إذا بالصندوق ينزلق ويقع عليها فيما وقعت هي إلى الخلف.

رآها تقع وكأنما بالتصوير البطيء. ستقع على ظهرها والصندوق... سيسحقها!

ألقى بكأس الشاي من يده، ومن دون أن يسمع صوت تهشمه ويرى تناثر حطامه على البلاط، اندفع نحو الصندوق. كان يعلم أنه لن يستطيع الإمساك به، لكنه قد يتمكّن من دفعه عن مساره، فلا يحطم أضلعها.

وضع يداً على الصندوق ودفعه بكل قوته، لكن قدمه انزلقت بسبب الشاي المسكوب، فوقع فجأة إذ لم يستطع أن يحافظ على توازنه.

أخطأها الصندوق بقدر إنش ليسقط على الأرض بضجة بدت وكأنها هزت المبنى، فيما سقط هو فوقها. حاول أن يتفادى السقوط بالاستناد إلى يديه، لكن صوتاً مخنوقاً أنبأه بأنه فشل في ذلك.

لم يكن حاله أفضل من حالها، وتطلّب الأمر لحظات لكي يدرك أنّ عليه أن ينهض عنها لئلا يسبب لها أذى أسوأ مما أصابها، لكن موقعه هذا كان ممتعاً للغاية حيث غرق وجهه في عنقها الناعم. وكان شذا البنفسج يفوح منها، ممتزجاً برائحة الصلصة التي كانت تحضرها.

عندما استطاع أن يتحرك، كانت قد استعادت صوتها فسألته بهدوء تقريباً: «هلاّ أخبرتني عما كنت تحاول أن تفعله؟».

رفع رأسه رغماً عنه، لينظر إليها: «أحميك من أن تُسحقي».

- لذا، وبدلاً من أن تترك الصندوق يصل إلي، سبقته أنت. يا لهذه المراعاة!

توقف حتى عن التفكير بالنهوض وقال: «كان الوضع ليصبح أسوأ بكثير لو تركت المنشار يقع عليك. فبين الصندوق والبلاط كنت لتصبحي

أشبه بحشوة شطيرة».

التفتت إلى الصندوق: «تركت ماذا؟ كيف تعرف ما في داخله في حين أنّ لا شيء مكتوب عليه؟».

- أنا الذي وضعته بنفسي. في داخله آلة للنشر مع غياراتها كلها.

فقالت بتبلد: «منشار؟ أتعني ذلك الذي يقطع الأشجار؟ ولماذا تقتني... آه، إنس هذا! لا أريد أن أعلم».

- ليس منشاراً عادياً للأشجار. أنا لا أجول في الغابات وأدّعي أنني حطّاب. إنه النوع الذي تستعملينه لتقطيع الألواح لخزانة كتب مثلاً.

- ليس أنا. هل وضعته في الصندوق بنفسك؟ تركت الحمالين يهتمون بالأمتعة الأخرى لكنك وضعت المنشار في صندوق؟

- طبعاً.

رآها تهز رأسها ففهم: «فهمت ما تعنينه. لا، أنا لم أخصص هذا الصندوق من بين الصناديق الأخرى، بل بقي المنشار في صندوقه منذ أحضرته من بيت أبي مع الأدوات الأخرى».

فارتجفت: «الأدوات الأخرى؟ هل هناك المزيد من الأفخاخ؟».

- إنها خطرة فقط حين لا تعرفين كيف تتعاملين معها. كان أبي نجاراً وقد علّمني حب أدوات النجارة والحفاظ عليها، وهكذا احتفظت بكل أدواته على أن أنشىء ورشة يوماً ما.

- لا عجب في أن تتطلع بشوق إلى امتلاك منزل.

- نعم، ثمة أدوات أخرى أخشى ألاّ يتسع القبو لها.

- سأشترط أن يكون للمنزل قبو واسع جداً. اسمع يا دايڤيد، وضعنا هذا غير مريح. أريد أن أنهض الآن قبل أن تطلب جارتنا الشرطة.

لم يشأ أن ينهض. أراد أن يعانقها حتى تنسى كيف تتنفس ثم يدخلها إلى الشقة ويغلق الباب ليعاود ذلك مرة أخرى.

ضاقت عيناها: «أنا واثقة من أنك متلهف لتجربة منشارك لترى إن

كان لا يزال يعمل».

ـ لا. إذا انكسر فما باليد حيلة.

لكنه وقف مكرهاً وجذبها لتقف.

أخذت تتحرك من قدم إلى أخرى بحذر، وتحرك رأسها من جانب إلى آخر، ثم حركت كتفيها. فسألها بهدوء: «هل أنت بخير؟».

ـ نعم. لا أشعر بأي ألم. أنت محظوظ لأنك لن تضطر لأن تشرح لهنري كيف سقطت أثناء حمل الصندوق.

ونفضت بنطلونها ودخلت الشقة. من حسن الحظ أنها لم تنتظر الجواب كما خطر لدايفيد وهو يجمع بقايا الكأس، لأنه لم يجد رداً مناسباً. لكنه واثق من أنه قادر على أن يفسّر الأمر لهنري لو تضررت إيف بشكل خطير.

لكنه مهتم أكثر بأن يفسر الأمر لنفسه ويعتاد عليه.

* * *

في الصباح التالي استيقظا في الموعد المحدد بالضبط وكان هذا أشبه بالمعجزة نظراً إلى الوقت الذي أدخل فيه دايفيد آخر صندوق ليخفي خزانة الكتب في الطرف الآخر من غرفة الجلوس.

قالت وهي تأخذ آخر رشفة من القهوة في الردهة: «نظراً لحظنا، قد تُثقب عجلة سيارة الأجرة أو تنهار بناية أمامنا، أو يقع حادث اصطدام في شارع...».

ـ أو يستعصي فتح الباب.

ـ هذا سهل.

ـ أنا جاد.

قال هذا منفعلاً وهو يحاول تحريك المفتاح في القفل عبثاً!

ـ الباب لا يقفل، وإذا اقفل لا ينفتح مرة أخرى.

ـ لديّ فكرة نيّرة، سأتصل بوكيل البناية، فإذا أخبرتني زوجته أنه سافر لتوه إلى القطب الجنوبي أو إلى مكان آخر قريب، فلن أكون مسؤولة عن تصرفاتي.

فقال بشرود: «ابحثي لي عن مفك براغي».

ـ لا فائدة من البحث لأني لا أملك واحداً.

ـ ألم يحدث قط أن استعصى عليك مقبض درج؟

ـ هذه وظيفة المشرف على البناية، فلا ترفع حاجبيك المتغطرسين في وجهي.

ـ كل إنسان يجب أن يكون قادراً على... هذا غير مهم... ثمة صندوق يحتوي على عدّة في مكان ما بين أمتعتي.

ـ في مكان ما؟ هذا خبر جيد. هل عليّ أن أبدأ الحفريات؟

ـ لو تناولت فطوراً لتحسنت نفسيتك في الصباح.

تمتم بذلك وهو يسير ليبحث عن صندوق العدة فيما حاولت هي أن تعالج القفل بنفسها، فانتهت بإحباط تام. قالت له من عند الباب: «هذا يجعل البحث عن بيت مهمة أسهل».

ـ لماذا؟ لأنك لن تشعري بالحزن لترك هذه الشقة؟

ـ لا، بل لأنني أعلم الآن أنك رجل بارع نافع في البيت.

منحها ابتسامة مختصرة وسار إلى القفل يصلحه، ولم تمض دقائق حتى أنهى عمله. لكن هذا التأخير يعني أنهما تأخرا لليوم الثالث.

وعندما دخلا المتجر، قال هنري برفق: «كان عليّ أن أتصرف بذكاء أكبر ولا أضع حداً للمراهنات مهما كان رأيك يا إيف».

حدّثته عن القفل فراح يغمز بعينيه وتابع هو: «ربما علينا أن نبدأ من جديد، والفائز هو من يتكهن بالعذر الذي ستقدّمينه عند تأخرك».

ونظر إلى دايفيد: «فيما أنا أنظف طاولة عملي هذا الصباح وجدت حجراً كريماً كنت قد نسيته تماماً. إنه حجر ياقوت أزرق غير عادي، يزن

خمسة أو ستة قيراطات. اشتريته منذ سنتين تقريباً ولعلك تحب أن تراه».

لم تدهش إيف وهي ترى جدها يضيّع حجر ياقوت. وسرّها أنّ ما من زبائن يسمعون هذا: «قبل أن تذهبا، هل أنهيت يا دايفيد قلادة السيدة مورغان أمس قبل أن تعود إلى البيت؟».

وسمعت من خلفها بائعة تضحك بصوت خافت. ولم تحتج إيف لمساعدة لتعرف سبب ضحكتها فلا بدّ أنها تعتقد أنهما مشغولان بأمور أخرى، فلا يتسنى لهما الحديث عن العمل.

وحدّثت نفسها بأن أفضل ما يمكنها فعله هو أن تتجاهل ذلك.

أوما دايفيد: «أريد أن ألقي عليها نظرة أخرى لأتأكد من أنني لم أنس شيئاً، لكن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً».

ـ سأتصل بها إذن وأخبرها أن بإمكانها أن تأخذها اليوم.

وجدت على مكتبها صحيفة مفتوحة على صفحة الاجتماعيات.

فنظرت إيف إليها وهي تنتظر أن تجيب استيلا مورغان على الهاتف. احتلت قصة عرسها نصف الصفحة فجلست لتقرأها.

وصف الصحفي لحفل الزواج وحفل العشاء وقائمة المدعوين، جعل العرس يبدو أكثر الأعراس شاعرية على الإطلاق. أنهت إيف القراءة وأزاحت الصحيفة جانباً. تملكها شعور بعدم الارتياح، لم تعرف ما إذا كان عليها أن تسخر من سهولة انخداع الناس، أم أن شعورها بالضيق يعود لأن التظاهر الزائف عكس طبيعتها.

ورأت أخيراً أن شعور عدم الارتياح كان للسببين. وضعت الصحيفة في الدرج ثم سارت إلى صالة البيع لتشكر البائعة التي جلبت الصحيفة.

كان صباحاً هادئاً بشكل غير عادي في المتجر، وما من زبائن على الإطلاق. لكن إيف سرّها أن ترى الموظفتين تعملان، إذ راحت إحداهما تنظف زجاج صندوق العرض من بصمات الأصابع، فيما كانت الأخرى ترتّب الخواتم في علبها في صندوق آخر. وكانتا تتحدثان وهما تعملان.

كانت إيف قد وصلت إلى منتصف القاعة عندما أدركت موضوع حديث المرأتين. كانت الأولى تقول: «لم أفكر قط في تراڤيس تيت كربّ أسرة».

ـ ولا أنا، لكنه كذلك الآن بكل تأكيد.

توترت أعصاب إيف. تراڤيس تيت رب أسرة... حسناً، هي نفسها لم تكن تظنه كذلك، في البداية على الأقل. فسألت المرأتين بصوت حرصت على أن يبدو عادياً: «ماذا حدث لتراڤيس تيت؟ كان هنا يوم الإثنين».

فأجابت إحداهما: «أعلم هذا فأنا التي تلقيت اتصال سكرتيرته ذلك الصباح. ولهذا السبب كان في مكتبك حين دخلت أنت. كان يستعمل هاتفك قائلاً إنك لن تمانعي».

قطبت إيف جبينها: «اتصلت إلى هنا؟ لماذا لم تطلبه على هاتفه الخلوي؟».

ـ قالت إنها حاولت لكنه لم يكن يعمل لذا اتصلت بكل المتاجر التي يتردد عليها. لم تقل السبب. لكنها ارتاحت جداً حين أخبرتها أنه هنا.

شعرت إيف أنها حمقاء. لقد بالغت في رد فعلها حين سمعت اسم تراڤيس وظنت أن شيئاً ما حدث له فزلزل الأرض: «لعلها أرادته أن يرى زبوناً بسرعة».

ـ هذا ما ظننته لكنها أخذت تثرثر بشكل لم أعهده فيها من قبل. حتى هذا الصباح، حين اتصلت لكي تشكرني لأنني وجدته حينذاك، قالت إنها كانت تحاول أن تعلمه أن زوجته في المخاض.

فقالت المرأة الأخرى: «وقد أنجبت توأماً».

شعرت إيف بالأرض تدور بها. وتذكرت بجفاء كيف طلبت منه أن يعود إلى بيته ويحاول انجاح زواجه... لكن لم يخطر لها أنه سيقوم بذلك بكل هذه الحماسة.

وكانت المرأة تقول: «كان الطفلان مبكرين، وأظن أن هذا هو السبب في وجوده هنا بدلاً من البقاء في بيته... لأن الولادة لم تكن متوقعة قبل شهر أو شهرين. على أيّ حال، هذه هي القصة، توأم من الذكور. قد يحضر لنا صورهما في زيارته التالية».

فكرت إيف بذهن شارد في أنها تشك في ذلك، إلا إذا شكّل جنسهما فارقاً، لأنه لم يذكر أيّ كلمة عن طفلتيه.

عادت إلى مكتبها. أرادت الانفراد بنفسها، فقد عجزت عن التنفس وشعرت بأنه سيغمى عليها فيما ازدادت حواسها رهافة فأذى الضوء عينيها وقرعت الأصوات الخفيفة أذنيها كالطبول وهي تدخل الغرفة. وسمعت إحدى المرأتين تقول: «هل قلت شيئاً خطأ؟ ربما ما كان عليّ أن أخبرها. أتظنين أنها تكنّ له شعوراً خاصاً؟».

فأجابت الأخرى: «هل تمزحين؟ امرأة لديها رجل مثل دايڤيد إليوت لن تفكر مرتين برجل مهزوز مثل تراڤيس تيت».

مهزوز مثل تراڤيس...

إنهما على خطأ، طبعاً. فهما لا تعرفان القصة كاملة ولهذا لا يمكنهما أن تفهما.

لكن اعتراضها جاء ضعيفاً واهناً. السخط الذي توقعت أن تشعر به لرأي البائعة بتراڤيس لم يكن قوياً. وذكرت نفسها بأنّ هذا الرأي ليس رأي البائعة فقط. كان هذا رأي دايڤيد رغم أنه لم يره سوى مرة واحدة. ماذا قال عنه؟ قال إن تراڤيس أخطأ في حساباته؟

دايڤيد جعل الأمر يبدو وكأن تراڤيس تعمد أن يوقعها بحبه، وأن الحب الذي جمعهما لم يحصل صدفة فلم يستطيعا التحكم بعواطفهما. لقد كذب تراڤيس حين قال إنه منفصل عن زوجته...

عندئذٍ، شعرت بالأرض تهتز تحت قدميها. كل ذلك كذب! لا بد أنه كذب!

بإمكانها أن تحتسب الأشهر، لكنها ليست بحاجة إلى ذلك. لم تكن بحاجة لأن تعد الأشهر لتعلم أن تراڤيس كان يخبرها عن فشل زواجه في الوقت الذي حملت فيه زوجته.

تملكها غضب بالغ. ففيما هي تعذب نفسها بسبب قرارها كان هو يستمتع بحياته المنزلية. وفيما كانت تعتزم التضحية بسعادتها من أجل طفلتيه، لم يفكر هو إلا في رغباته. وفي الوقت الذي صممت فيه على اختيار لوعة الانفصال، كان هو يعلم أن زوجته حامل مرة أخرى.

وكان يعلم ذلك في الأسبوع الماضي في المطار حين كان يحدثها عن الجهد الذي بذله لإصلاح حياته الزوجية، لكن جهوده باءت بالفشل...

وأدركت أنها ليست غاضبة منه بل من كذبه عليها ومن سذاجتها. لقد وثقت به، وانخدعت بكذبته الكبرى... فهي لم تتساءل أبداً عن صحة ما كان يخبرها به. ولولا طفلتاه البريئتان وضميرها الذي رفض بعناد أن يسبب لهما الضرر، لاستمرت في حبها هذا لتجد نفسها أخيراً وسط هذه الفوضى.

كم كانت حمقاء! الزوج الذي لا تفهمه زوجته الباردة غير المحبة من أقدم قصص الرجال، وهي ما زالت شائعة لأنها تنجح جيداً... وما دامت النساء الساذجات مثلها يصغين بعطف، فستبقى هذه الطريقة المفضلة لدى الأزواج الخائنين.

يا لها من معتوهة إذ تلهفت للاعتقاد بأنها تخفف عنه شقاءه! وتساءلت عما إذا كان يسخر منها. طوال الوقت شعرت بالغثيان لهذه الفكرة. أتراه أحبها، بشخصيته الضعيفة، أم أنها أراد فقط أن يستغلها؟

هل كان ينوي أن يترك زوجته فعلاً؟ وردّ عليها صوت خفي في أعماقها بأنه كان سيفعل بعد أن يتأكد منها. هذا الصوت يشبه صوت دايڤيد... ألم يقل لها الشيء نفسه؟ ذلك لأنها وريثة هنري... كما تابع الصوت يقول من دون لين.

لا عجب في أن تراڤيس كان فظاً بتعليقاته القذرة عن أن دايڤيد تزوجها ليضع يده على المتجر، وأنه سيخسر كثيراً إذا لم يجعلها سعيدة. فتراڤيس أراد أن يكون مكان دايڤيد، فبدا وكأنه يتحدث بلسان حاله.

سمعت إيڤ دقة الجرس الخفيفة التي تنبىء بدخول زبون، وسمعت صوت السيدة مورغان يقول للبائعة: «هذا وقت غير مناسب أبداً للحضور إلى المدينة، خصوصاً بعد أن كنت هنا في الأمس. الله يعلم كم كان الأمر سيطول قبل أن تنتهي هذه القلادة لو لم أحضر وأتشاجر معهم».

وقال صوت ناعم خفيض: «هذا ليس ذنب البائعة، يا ماما».

تقدمت إيڤ وهي تبتسم ابتسامة مصطنعة للسيدة مورغان وابنتها الواقفتين أمام البائعة التي بدا عليها الفزع فقالت لها: «سأساعد السيدة مورغان بنفسي. هل لك أن تطلبي من السيد أليوت أن ينزل وتخبريه أن السيدة مورغان وصلت؟».

عندما اندفعت البائعة نحو السلم، قالت السيدة مورغان وهي تحدّق إلى إيڤ بحدة: «أين القلادة؟ قلت إنها انتهت».

وجالت بنظراتها في الأنحاء: «أنا لا أراها».

أبقت إيڤ صوتها منخفضاً: «نحن لا نعرض مجوهرات الزبائن إلا بعد أن ترضى بها صاحبتها، وسيكون من عدم التهذيب أن ندع أي شخص آخر يرى قلادتك قبلك. تفضلا معي...».

وقادت المرأتين إلى غرفة صغيرة وابتسمت لابنة السيدة مورغان: «أظنها ستعجبك جداً».

لم يبدُ على الشابة الاقتناع، فقالت متذمرة: «الأمر كله سخيف جداً. مهما فعلتم بها، ستبقى مجوهرات قديمة تافهة. على أيّ حال، لم تكن هذه فكرتي. كنت أفضّل أن أرمي كل تلك الأشياء القديمة وأشتري شيئاً جديداً جميلاً حقاً».

وفجأة، أصبح صوت السيدة مورغان خافتاً حنوناً: «لكن إيڤ أكدت

لي يا حبيبتي، أن تلك المجوهرات القديمة أصبحت بلمسة معلّم قدير، كلوحة تراثية».

بدأ رأس إيڤ ينبض قليلاً، وهي تتساءل عما إذا كانت القلادة ستعجب السيدة مورغان، فقد قالت لدايڤيد الليلة الماضية إنها ستبدأ بها متحفاً. إذا لم تعجب القلادة المرأة، فعليها إذن أن تنفّذ فكرتها.

جاء دايڤيد حاملاً قماشة من المخمل الأسود ملفوفة إلى أعلى فيما تبعه هنري وهو يبتسم. قال وهو يصافح استيلا: «أريد رأيك في هذه».

وتقدم دايڤيد ليقف بجانب إيڤ التي شرعت بالوقوف فوضع يده على كتفها يعيدها إلى الجلوس. وبحركة من معصمه بسط المخمل على الطاولة.

لم يروا في البداية شيئاً سوى المخمل الأسود بسواد الكهف، وفي اللحظة التالية، وكأنما بسحر ساحر، ظهرت أمامهم الشبكة الذهبية، لتومض في الضوء. فكرت إيڤ في أنه لو تدرب على ذلك ما كان ليبتكر هذا المشهد المسرحي وهذا العرض الجذاب.

وساد صمت طويل.

كانت إيڤ تعلم أن هذا دلالة حسنة. ومع الآهة التي صدرت عن الزبونة أمام الجمال الذي تشهد، توقفت التخمينات كلها.

مرت لحظات قبل أن تمدّ جيسي إصبعها لتلمس القلادة مترددة وكأنها تخاف أن تذوب تحت أقل لمسة. وحاولت إيڤ أن تكبح آهة ارتياح.

نظرت جيسي إلى دايڤيد: «هذا لا يصدّق».

وبدا صوتها وكأنه آت من بعيد.

رأت إيڤ أن هذا يكفي وأنّ من الأفضل ألا تشجع هذا الرجل فيزداد غطرسة.

ـ انتظر حتى ترى صديقاتي هذه. سيطلبن أن تصنع لهن حلية ما.

قد لا يحتاج إلى صنع حلقات السرة ليجذب الشابات: «لكني تفوّقت

عليهن جميعاً لأنني أملك أول حلية صنعتها منذ مجيئك».

قالت جيسي هذا فبدت فتية للغاية وبالغة الزهو. لكن إيف فكرت في أن خاتم زفافها هو الأول.

وكان دايڤيد يبتسم للشابة: «أرجو أن تعجبك دوماً كما أعجبتك الآن».

فوجئت إيف برده. فهو لا يريد طبعاً أن يقلل من فرحة المرأة الشابة بالإشارة إلى أنها مخطئة... لا بد أن هذا واضح لإيف نفسها، بخبرتها الطويلة مع الزبائن. ماذا جرى لها؟

تنحنحت استيلا مورغان: «إنه ليس كما توقعته تماماً».

ساد الصمت ثم قالت إيف: «أهذا هو رأيك؟ إننا مختصون بصنع الأشياء الفريدة ولهذا السبب أحضرت خواتمك القديمة إلى متجرنا. لكن إذا أردت شيئاً عادياً، فثمة المئات من المتاجر التي يمكنك أن تشتري منها».

فقالت جيسي بفروغ صبر: «أمي، لا تكوني حمقاء. ألا ترين كم هي رائعة؟».

ولاحظت إيف أنها قالت ذلك مشيرة إلى دايڤيد وليس إلى العمل. وتفرّست في وجه الفتاة فرأت في عينيها الشغف وهي تنظر إلى دايڤيد: «هل تساعدني في وضعها؟».

فابتسم لإيف: «أعتقد أن هذا عملك».

تملكها شعور غريب وهي تلبسها العقد ليستقر حول عنق الفتاة بروعة. حملت السيدة مورغان حقيبة يدها ووقفت: «يبدو أشبه بطوق الكلب. ولكن إذا أعجبك، يا جيسي، فهذا هو المهم».

سار هنري مع المرأتين إلى الباب، ونظرت إليهم إيف راجية أن يحصل على الشيك من استيلا قبل ذهابها.

وعندما انفردت بدايڤيد قالت: «ماذا ظنتك ستفعل بتلك الخواتم؟

تنشرها جميعاً إلى قطع ثم تثبتها بسلسلة؟».

فنظر إليها بإمعان. وفي أحشاء إيف بدأ شعور بالدفء يتكوّن ويزداد، وأخذت الحرارة تنتشر في جسدها كله. وفجأة أدركت ما يحدث لها... ما يحدث لها منذ أيام.

عندما أخبرتها البائعة عن زوجة تراڤيس، غضبت لخيانته. أما ما لم تدركه حتى هذه اللحظة، فهو أن هذا الأمر لم يؤلمها.

في الأشهر الماضية، وربما في الأسابيع الأخيرة بالضبط، كانت تشعر أحياناً بأن الجروح التي تسبب بها تراڤيس شفيت، حتى لم يعد له أيّ قدرة على إيذائها. لكنها لم تدرك ذلك إلا بعد الاختبار.

لم تفهم كيف حدث ذلك، ولا بد أن استيعاب الأمر استغرق وقتاً طويلاً، لكن ذلك لم يعد مهماً الآن. إنها محظوظة إلى حد لا يصدق ليس لأنها انتهت منه وحسب بل لأنها أصبحت حرة. وتنفست الصعداء، وشعرت وكأنها تريد أن تطير من فرط السعادة.

لا بد أنني كنت على طريق الشفاء من دون أن أدرك ذلك.

لكن شيئاً ما في تخيّلاتها تلك لم يكن صحيحاً.... لم يبدُ حقيقياً. ونظرت إلى دايڤيد باضطراب. وفجأة، رأت الحقيقة تتجلّى أمامها...

لم تكن حرة... إنها أبعد ما تكون عن الحرية.

ليس لأنها مازالت متعلقة بتراڤيس... بل لأنها تعلّقت بدايڤيد. كانت تظن أنها مغرمة بتراڤيس فيما هي لم تحبه قط... حتى أنها لم تعرف الحب... حتى الآن... وهذه هي مشكلتها. في وقت ما من الأيام القليلة الماضية، حصل شيء لا يُصدّق، لقد وقعت في غرام زوجها.

* * *

٩ ـ كاذب ومخادع

كانت قد أقنعت نفسها بأنها لن تستطيع أن تحب مرة أخرى بعد تراڤيس، وظنت أنها منيعة، مهما فعلت.

وكأن تراڤيس مرض ما جعلها التعرض له تكتسب مناعة ضد الجراثيم! حسناً، كان مرضاً فعلاً، لا شك في ذلك، لكنه لم يتركها من دون مقاومة، لأن ما ظنته حباً لم يكن سوى افتتان. لذا، عندما تعرّضت للشيء الحقيقي، ظناً منها أنها في أمان، وجدت نفسها تصطدم بالواقع بعنف.

لقد وقعت في غرام دايڤيد.

وعادت بذاكرتها إلى الخلف، فرأت أن الأمر حدث بسهولة. مع أي رجل آخر، وفي أيّ ظروف أخرى، كانت لتبقى حذرة لكنها لم تجد ذلك ضرورياً مع دايڤيد، لأنهما كانا صريحين في نواياهما ومشاعرهما... كان جديراً بالثقة بالنسبة إليها.

أدركت الآن أن الوقت فات، وأن الصلابة كانت جزءاً من خطورته. فالاعتماد عليه أشعرها بالأمان، وسمحت لنفسها بأن تثق به. تركت نفسها تعجب به، ومن ثم اجتازت الحد... وأصبح عليها الآن أن تدفع الثمن.

سألها: «إيڤ؟ هل أنت بخير؟».

أجفلت، وخافت أن يقرأ أفكارها: «أنا بأحسن حال».

قالت هذا وهي تعلم أن صوتها حاد مرتفع، وفكرت في مبرّر لذلك

يمكن أن يصدقه: «كتفي تؤلمني. ربما بسبب سقطتي وأنا أسحب شيئاً ما الليلة الماضية».

دار حول كرسيها: «أريني أين!».

فهزت رأسها: «لا تقلق، إنه مجرد تصلّب».

أراح أصابعه على أعلى كتفيها ومضى يدلكهما برفق.

ارتعشت عضلاتها لهذا الاحتكاك وأرادت أن تبتعد لتوقف هذا التيار الكهربائي الذي بعثته أصابعه فيها. لكنها رغبت في الوقت نفسه في أن تبقى جامدة تماماً مائلة عليه لتغرق في سحر لمساته.

جمدت يداه وأحاطتا بأسفل عنقها: «عضلاتك تبدو على ما يرام. ربما عليك أن تعودي إلى البيت وتضعي كمادات ساخنة».

لكن كل ما أرادته هو لمساته، فردّت: «لا. لديّ الكثير من العمل مما لا يسمح لي بأخذ عطلة».

ومن على عتبة الغرفة قالت إحدى البائعات: «السيدة ريزنور من وكالة الإعلانات على الهاتف».

ـ سأتلقّى المخابرة في مكتبي.

قالت إيڤ هذا وهي تقف فلم يحاول أن يمنعها. ولكن هل تركها رغماً عنه أم أنها تصوّرت ذلك؟ أتراها ترى ما تريد أن تراه؟

بدا التردد على البائعة: «لقد سألت عن دايڤيد».

فقالت إيڤ متصنعة المرح: «طبعاً، ما أغباني».

ـ في مكتبك خطا هاتف وبهذا يمكننا أن نتحدث إليها معاً.

ـ أنا واثقة من أن جين لا تريد رأيي أنا.

قطب جبينه قليلاً فسكتت لحظة ثم قالت بعذوبة مصطنعة: «رباه، هل أبدو مجدداً كغولة خضراء العينين؟ مسكينة جين إنها تثير في نفسي الناحية الأسوأ».

وكان هذا أكثر ما قالته صدقاً، كما اعترفت بعد أن هربت إلى مكتبها.

لكن جين ريزنور ليست بالضرورة الوحيدة التي تثيرها بهذا الشكل. شعرت بنفسها تحترق أثناء الاجتماع مع وكالة الإعلانات حين أخذت جين تغازل دايڤيد أمام ناظريها، لا سيّما حين قالت له: (لسوء حظك أنك متزوج، في الحقيقة...) فتصرفت تقريباً كما تصرفت منذ دقائق حين أخذت جيسي مورغان تنظر إلى دايڤيد والافتتان في عينيها.

والأسوأ هو أنها لم تعترف بأن ما تشعر به هو غيرة فهي أقصر نظراً من أن ترى ما يحدث لها. لقد أمضت أياماً تسير على حافة هاوية معصوبة العينين، من دون عقل يعيدها إلى الطريق الصحيح، إلى حيث الأمان، بل تابعت طريقها واندفعت من فوق الحافة.

ذلك الشعور الغريب الذي تملكها حين قرأت قصة عرسهما في الصحيفة لم يكن سخرية أو ضيقاً كما أدركت الآن. بل كان أسفاً لأن القصة ليست حقيقية تماماً، ولأن زواجها لم يكن ذلك الحلم الشاعري الذي تصوره الصحفي.

إنها تفهم الآن لماذا تصرفت بذلك الشكل الغريب حين اقترح عليها دايڤيد أن يعيد النظر في شروط الزواج. فقد اغتاظت منه، لكن ما لم تعترف به حتى لنفسها هو أنها فكّرت في الأمر نفسه تقريباً، وأنّ السرور تملكها لقدرتها على إغرائه، ولأنه يريدها. لأنها هي أيضاً تريده!

ولكن ماذا ستفعل الآن؟

السؤال سهل، أما الجواب... فبعيد عن السهولة.

اقترح دايڤيد أن يجعل الزواج حقيقياً، كما فعل هنري طوال تلك السنوات مع الزوجة التي اختارتها أسرته له. في الأمس، بدا اقتراح دايڤيد حميماً وأشبه باستفادة متبادلة. أما الآن فهو يبدو غير كافٍ.

لكن، أتراها مثالية أكثر من اللازم؟ أتراها تطلب الكثير؟ أيمكنها أن تقبل ما يعرضه عليها؟

هنري وزوجته سارة جمعتهما الزمالة والاهتمامات المشتركة، وأسسا

أسرة معاً. كان بينهما نوع من الحب رغم اعتراف هنري بأنه كان بعيداً عن الشعور الذي يدير الرأس ويحبس القلب. إن غرق الإنسان في الحب حتى أذنيه لا يكفي، بل الأهم هو اعتماد كل طرف على الآخر، كما أخبرها هنري.

لم يكن لديها شك في أن ما عرضه دايڤيد عليها موثوق به ومعتمد عليه وثابت... ولكن هل ذلك النوع من الحب الذي غرقت فيه حتى أذنيها ثابت وجدير بالثقة؟

حدّثت نفسها بأنه سؤال خاطىء. ما تريده شيء، وما يمكنها الحصول عليه شيء آخر تماماً. لم تكن المسألة في أن تحصل على ما تريد لأن ذلك بعيد عن متناولها.

خيارها الآن هو إما أن تتشبث بما يمكنها الحصول عليه، وإما ألا تحصل على شيء إطلاقاً.

* * *

عصر ذلك اليوم، كانت إيڤ في صالة البيع عندما دخل شاب وفتاة، عرفتهما على الفور. فقد قابلتهما أثناء زيارة قامت بها مع دايڤيد إلى غرفة المجوهرات في متحف التاريخ الطبيعي في اليوم التالي لعرسهما.

بدا أن الشاب والفتاة قد اتخذا قرارهما بالزواج ما انبأها بأن لا مجال للتراجع أو المساومة. رحّبت بهما بحرارة ثم قادتهما على الفور إلى غرفة صغيرة.

مجرد عودتها إلى تلك الغرفة جعلها تحبس أنفاسها تقريباً وكأن التدفق الفجائي لتلك المشاعر التي عرفتها في الصباح ما زال يحوم فوق الطاولة الصغيرة.

أرتهما بعض الخواتم الماسية، وعندما وجدا الخاتم المناسب، رأته يلبسها خاتم الخطبة. ولاحظت الرقة في وجه الفتاة عندما نظرت إلى

الخاتم ثم إليه. شعرت إيف وكأن عليها أن تعتذر وتخرج لأنها لحظة خاصة حميمة للغاية.

السعادة الهادئة على هذين الوجهين يجب أن تكون كافية لتؤكد لها أنها اتخذت القرار الصائب حين أخبرت دايڤيد أنها لا تريد خاتم خطبة. سيكون نفاقاً منها أن تلبس خاتماً فيما مشاعرهما نحو بعضهما البعض لا تماثل حب هذين الخطيبين لبعضهما.

لكن الأمر أصبح الآن أكثر تعقيداً. إنها تتمنى الآن لو لم تكن بذلك العناد بالنسبة إلى الماس. فهي تلبس خاتمه طبعاً لكنه من دون الحجر الماسي الذي سيمنحه أهمية كبرى. لو كانت تلبس خاتماً ماسياً لتظاهرت على الأقل بأنه دليل حب وأنهما فعلاً يحبان بعضهما بعضاً.

وحدّثت نفسها بأن ذلك مجرد إدعاء، والإدعاء لا يجعل الأمر حقيقياً.

* * *

أدار دايڤيد المفتاح في القفل وقال: «هذا جيد. لقد أصلحته حقاً».

بقيت إيف لحظة حتى فهمت ما يتحدث عنه، لأن الكثير حصل منذ تعطّل القفل هذا الصباح: «هل كنت تشك في ذلك؟ إنه دورك في الطهي اليوم على أيّ حال».

نظر إليها جانبياً: «أواثقة أنت من أنك تريدين أن تجربي طهيي؟ لأن مهارتي في المطبخ لا تتعدّى تحضير شطيرة سجق والاتصال هاتفياً لطلب بيتزا».

ـ لا أظن أن لدينا سجق، وليس أمامنا سوى البيتزا.

تفحص دايڤيد محتويات البراد: «ربما بإمكاني أن أحضّر شيئاً آخر. إذا كنت جائعة جداً، فلن تلاحظي إذا أحرقت الطعام».

ـ هذه فكرة رائعة. نسيت أن أسألك عما قالته جين ريزنور.

فناولها كأساً من العصير: «الكلام نفسه».

ـ ما أعظم مظهرك على مركب مع عارضة لا ترتدي شيئاً سوى ياقوت بلون البحر!

قالت هذا وقد خطر لها أنه سيفعل ذلك، وهذا جزء من المشكلة.

ـ نعم، لكني سألتها إن كان بإمكانها أن تجد طريقة لتفادي حساسيتك على أشعة الشمس لتكوني أنت العارضة. وقلت لها إننا سنفكر في الأمر.

ـ ماذا قلت؟

ـ لا. في الواقع، قلت لها إنها امرأة متلهفة إلى جمع المال، وستقوم بأي شيء في هذا السبيل.

فقالت بسرور: «كنت أعلم أنك أعقل من أن تخدع بأساليبها».

فقال مفكراً: «طبعاً. بإمكاننا أن نحصر كل هذا بين الجدران حيث لا تتعرضين لأشعة الشمس...».

ـ هذا فاضح بالنسبة إليّ.

ـ صحيح. لكن بما أنني لن أذهب إلى أي مكان وحدي، فكرت في أن الأمر يستحق التجربة.

رأته يتجاوز حده. وخافت قليلاً من البقاء خشية ما قد يقوله، لذا قررت أن تذهب لتغيير ملابسها. وعندما عادت لم يشجعها صوت ارتطام أواني الطهي والشتائم أحياناً على النظر إلى داخل المطبخ. لكن غرفة الجلوس لم تعد جذابة بجوار الصناديق. ولشدة استعجال دايڤيد في العثور على صندوق عدته هذا الصباح، ترك خلفه كومة غير منتظمة كادت تسد الباب.

تنهدت إيف وأخذت تسوّي هذه الفوضى. وهذه المرة، كانت حكيمة بما يكفي لكي تجرب نقل كل صندوق قبل أن تنقله.

تمتمت: «توزيع العمل الليلة ليس كما توقعته، ربما لم يكن من الحكمة أن أتجنب المطبخ».

رفعت صندوقاً كتب عليه (قابل للكسر) ووضعته على قمة كومة. لقد رأت الصندوق الذي تحته من قبل، وكان قد لفت نظرها الليلة الماضية في المصعد إذ كُتب عليه (خزائن مطبخ). غلبها الفضول هذه المرة فتناولت سكيناً خلفه دايڤيد بعد فتح صندوق أدواته، وفتحت الصندوق. كان ظنها في محله، فقد أفرغ الناقلون رفوف وأدراج مطبخ دايڤيد في صندوق من دون الاهتمام بما إذا كانت تستحق النقل عبر البلاد. وجدت علبة تحتوي على بطاطا مجففة وعلبة من مرق الدجاج مع الشعيرية ومقلاة محطمة، وسكين مطبخ ذات يد خشبية سوّدها الزمن، وعلبة من البلاستيك ذابت زواياها. وهنا وهناك بين علب الطعام وأواني الطهي رأت قصاصات ورق وقائمة بقالة ورقم هاتف وعنوان مُزّق من مجلة وكان موضوعاً بين صفحات مفكرة.

نظرت إيڤ إلى هذه التشكيلة المتنوعة طويلاً، شاعرة بشيء من الغثيان، راجية ألاّ تجد صندوقاً يحتوي على أشياء أفرغها الناقلون من ثلاجته. وتمتمت تقول: «لا أصدق أنني أطلقت هذا الرجل حراً في مطبخي. ماذا فعلت؟».

لكن مهما حدث، فلن تكون الحياة مملّة أبداً مع دايڤيد.

تنفست بعمق وحاولت أن تقوّم الشعور الذي اكتسح كيانها. لم يكن شعوراً بالبهجة أو بالسعادة... وأخيراً عرفته! كانت تشعر بالأمان والرضى وسكينة النفس.

ما تشعر به بعيد جداً عن ذلك الشعور الجنوني بالحماسة الذي يقرنه معظم الناس بالحب. لكن ذلك لم يجعل هذا الشعور أقل واقعية أو حيوية أو أهمية. إنها تعرف الآن ما عناه جدها. الحب الذي يغرقها حتى أذنيها لا يدوم، كما قال، بل ما يدوم هو الثقة والقدرة على الاعتماد على الآخر. وهذا مريح أكثر وليس أقل بهجة.

جمعت ما استطاعت من هذه الفوضى، ثم نقلتها إلى المطبخ.

بإمكانها أن تختار منها ما يلزم ريثما ينتهي من الطهي.

ورغم أنه ما كان لها أن تُدهش لسحب الدخان الأسود إلا أن رائحة الخليط الذي يغلي على الموقد كانت شهية، وميّزت رائحة الشومر والليمون وسمك السلمون الطازج.

توقف عن التحريك ونظر إليها. كان قد خلع سترته ووضع ربطة عنقه على كرسي وفتح باقة قميصه: «هذا حسن! كنت تفتحين الصناديق، فهل صادفت سكيني المفضلة؟».

سحبت سكيناً من تحت علبة بطاطا: «أظنها المفضلة لديك لأنها الوحيدة التي تملكها. تبدو وكأنها استعملت في رحلات لا تنتهي».

ـ كانت لها حصة في الأسفار. حذار، فهي حادة!

ومدّ يده إلى السكين حالما أخرجتها إيڤ فاصطدمت اليدان. فرّ مقبض السكين من بين أصابعها وسبح في الهواء ثم سقط فاحتك النصل بجانب معصمها وهي تحاول التراجع.

كان دايڤيد على صواب، فهي حادة. بحيث لم تشعر بها تجرحها إلا بعد أن رأت الدم يسيل.

اختطف دايڤيد منشفة فقالت: «إنه مجرد خدش».

ـ إنما يلزمه تنظيف.

فقالت ساخرة: «أنت محق نظراً لمحتويات الصندوق، ولكن لا تدع الدم على المنشفة لأن تنظيفه صعب».

وتركته يضع معصمها تحت الماء البارد وهي تعلمه أين يجد أدوات الإسعاف.

وعندما عاد، كانت تحرك محتويات المقلاة بذهن شارد وهي تنظر إلى تصميم على ورقة موضوعة على طاولة العمل بقربها: «ما هذا؟».

ـ كنت أجرب فكرتك.

ـ فكرتي؟

- نعم، بالنسبة إلى الخواتم. قلت هذا الصباح إنه كان بإمكاني أن آخذ خواتم السيدة مورغان وأقطعها إلى أجزاء ثم أثبتها في سلسلة وأجعلها سواراً.

- كنت أمزح يا دايڤيد. كانت فكرة غريبة خطرت في بالي من وحي اللحظة.

- أعلم هذا، ومع ذلك لم تكن فكرة غريبة. لماذا لا تحاولين ابتكار التصاميم؟

عادت تنظر إلى الرسم الذي نفّذه على عجل. كان سواراً ضخماً لا يشبه قلادة جيسي مورغان الرقيقة الناعمة. لكن في مناسبة خاصة ومع ملابس مناسبة: «إنها غريبة فقط... نوع من... لا أدري. إنها غير منظمة».

- إن طرازها خاص، ربما ليس لمرأة عادية، لكنها تلفت الأنظار.

- وأنت تحاول أن تتقرب من الصغيرات في السن، مثل هذه الأشياء هي المدخل لذلك.

فأومأ: «الجوهري هو الذي يجعلك تنظرين إلى الحلية مرتين، وليس لجمالها فقط».

- حسناً، احتفظ بهذا التصميم. وعندما تأتي إليك زبونة أخرى بقبضة من الخواتم تريد أن تعيد تشكيلها...

- فكرت في التفتيش في المخزون القديم. كل جوهري لديه مخزون من الخواتم القديمة التي لا يمكن أن تباع بشكلها الحالي.

- حاول أن تبحث في خزنتنا. سأبحث غداً إذا شئت.

فقال وهو ينهي تضميد معصمها: «سنشكّل فريقاً ناجحاً».

فريق ناجح... وحدّثت نفسها بحزم بأنّ هذا لا بأس به.

إنها تريد أكثر من ذلك طبعاً. ما تريده هو اتحاد روحين، لكن إذا لم تستطع الحصول على ذلك، وإذا لم تكن من الحماقة بحيث تتصوّر أنه

يكفي أن ترفع إصبعها ليقع دايڤيد في غرامها كما وقعت في غرامه، ففكرة أن يشكّلا فريقاً ناجحاً ليست سيئة أبداً. فريق في العمل، فريق في البيت، فريق في اللعب...

لم يكن هناك سوى جواب واحد. إذا كانت خياراتها إما أن تحصل على نصف رغيف وإما لا شيء، فتفضّل أن تحصل على ما تستطيعه من الرغيف وترضى بذلك.

وحدثت نفسها بأنها لا تخفض بهذا مستواها، بل ترفعه لأن زواجها مبني على أساس من الاحترام والوفاء، بعد أن اعتقدت أنها لن تستطيع الحصول على الحب...

سيكون هناك حب إنما من طرف واحد. هذا صحيح! ولكن بما أن الحب لم يُذكر في الشروط الأساسية، فمن غير العدل أن تتوقع منه أن يحبها. وهذا لن يمنعها من أن تستمر في حبها له، ومن أن تعمل على أساس ذلك الحب.

لقد توقّع أن ترغب في علاقة جسدية حميمة. وكان في هذا مخطئاً ومصيباً معاً لأنها تريد حقاً علاقة حميمة، إنما معه فقط.

نظر من فوق كتفه: «إذا كان الجرح لا يمنعك من إحضار صحنين...».

شيء ما في نظرتها إليه جعله يسكت وينتظر بهدوء.

وجدت نفسها تسير إليه وكأنه المغناطيس وهي الحديد... لكنها لم تشعر بالبرودة أو بالجمود. أراحت أصابعها على قميصه. كان احتكاكاً بسيطاً ومع ذلك شعرت وكأنها ارتبطت به.

- عانقني.

- هل ثمة جمهور يرانا، من دون أن أراه؟

فهزت رأسها: «عانقني فقط».

وتعلقت بعنقه. ووجد فجأة صعوبة في التنفس: «إيڤ، ماذا خطر في

بالك فجأة؟».

- قلت لي إنني عندما أقرر تغيير الشروط عليّ أن أخبرك. وأنا قررت ذلك يا دايڤيد.

في كل مرة عانقها فيها من قبل كانت مشغولة البال. في المطار، انشغلت بتراڤيس، وفي عرسها بذلك الحشد، وبالصدمة التي تملكتها حين اقترح عليها اتمام زواجهما. ومع ذلك بدا واضحاً لها أنه لم يكن هاوياً. ورغم عقبة الجمهور، أوشك أن يذيبها، فتخلخلت ركبتاها ونسيت كل ما حولها. أما الآن فقد استسلمت لمشاعرها ومنحت نفسها كلياً من دون قيد أو حذر.

كان شعورها رائعاً. وفكرت في أنها إذا ركزت لدقيقة أو نحوها فستكون النتيجة أفضل. لكنها لم تستطع أن تركّز أكثر، حتى أنها لم تشأ أن تحاول. ضاق ذهنها حتى لم يبق فيه سوى دايڤيد والشعور الذي أثاره فيها. غامت الرؤية أمامها، وتصاعد الطنين في أذنيها، ولم يعد يعمل فيها سوى حواسها فيما بهجتها تتصاعد.

عندما رفع دايڤيد رأسه، كان يلهث: «تباً يا إيف، لماذا تملكني شعور مفاجيء بأنك ناولتني للتو تفاحة؟».

لم تفهم: «تفاحة؟».

- أشعر وكأن ثمة أفعى تلتفّ حول كاحلي.

فقالت باسمة: «هل اختلّ توازنك لأنني أغويتك؟ حسن، فهذا ما أريده بالضبط. لا تنسَ أن تطفيء الموقد لأن العشاء سينتظر».

* * *

كان دايڤيد قد اكتشف منذ وقت طويل أنها تكون في أخطر حالاتها عندما تبتسم. لكن هذا الاكتشاف لم يكن كافياً لحمايته. ابتسامتها هذه من الإغراء بحيث تجعل «الرجل الآلي» يفقد عقله. كيف يمكن لرجل أن

يقاومها، خصوصاً إذا ما ارتمت بين ذراعيه، تبادله عناقاً حلواً وتقدّم له دعوة كان يحلم بها؟

أما لماذا أخذ يقاوم فهذا ما لم يفهمه. هل لأنها غيّرت رأيها فجأة؟ في الأمس اتهمته بأنه شهواني، وأعلمته أنها لا تنوي تغيير شروطها. والآن ها هي تغويه... لماذا؟

لقد نجح في ايقاظ رغباتها عندما لفت نظرها إلى ما تخسره. لكن هل هذا صحيح؟ ماذا قال لها هنري الليلة الماضية؟ لم تخبره، وهو لم يسأل طبعاً. كانا يفكران في أمور أخرى... أو بالأحرى في الصناديق المكدّسة عند المصعد. أم أنّ ذهنها كان مشغولاً بشيء آخر؟ بشيء قاله هنري؟

كلا بالطبع، فهو لا يشك في أن هنري يعلم بالضبط ما يفعله، وبالتأكيد يدرك أن لا مصلحة له في أن يتغابى في هذه السن.

وأفضت به هذه الأفكار إلى أمر أكثر واقعية. فهو يعتقد أن إيف ما زالت تحب تراڤيس تيت وتعتقد أنه الرجل الوحيد الذي ستحبه. ولكن ماذا عنه، هو؟ أتراها تعتبره بديلاً سهلاً في متناول اليد؟ وفي لحظاتهما الحميمة، هل ستتصوره تراڤيس؟

نظر إلى يدها اليسرى وقد بسطتها على صدره وكأنها تحاول أن تضع دمغتها عليه. كان خاتمه يلمع في إصبعها. وفكر شبه عابس، بأنها قد تحاول أن تتصور تراڤيس، لكنها لن تنجح. ومد يده يطفيء الموقد.

لم تناوله حواء تفاحة واحدة بل فطيرة تفاح كاملة. وهو ينوى أن يستمتع بها حتى آخر قضمة.

* * *

شعرت بفروغ صبر وشيء من الخوف. لماذا يقاوم؟ فكرة إتمام زواجهما وجعله حقيقياً هي فكرته منذ البداية. ما الذي غيّر رأيه منذ أمس؟ لكن وقبل أن تحاول أن تستنتج، بدا أنه اتخذ قراره، تماماً كما فعلت

هي. وإذا به فجأة يأخذ زمام المبادرة من يدها فيتركها مخطوفة الأنفاس.

حملها وسار إلى الردهة ثم دفع باب غرفة النوم بكتفه..

حاولت أن تتكلم لكنه أخذ يعانقها. وهذا العناق كان أكثر لهفة بكثير، إلى حد بقيت معه فترة طويلة عاجزة عن الكلام. لكن لم تكن ثمة حاجة إلى الكلمات.

لم يكن لديها وقت لتتساءل عما تفعله. دار رأسها نشوة وسعادة واستلقت بين ذراعيه. كيف أمكنها أن تشك في شعورها نحوه؟ فقد كان واضحاً... ما أجمل هذا وأصوبه!..

وتمتمت: «سيكون هنري سعيداً...».

رفع رأسه قليلاً وسألها: «أتفكرين في هنري؟».

فتثاءبت: «ليس تماماً. لكني أفكر فيك غالباً».

ـ هذا أحسن.

وسبحت روحها بعيداً: «لقد حصلت الآن على كل ما تريده».

وقبل أن تنهي جملتها استغرقت في النوم.

***

استيقظت إيف بعد الفجر بقليل، فبقيت جامدة مكانها تتأمل دايڤيد. كان حاجباه المعبّران مقطبين هذا الصباح، أو ربما مركّزين، أو لعله يحاول أن يعتصر كل ما يمكنه من دقائق النوم الأخيرة هذه. وفاض قلبها رقة.

ما أكبر الفرق بين هذا الصباح وأول صباح استيقظا فيه معاً! حينذاك، كل ما فكرت فيه هو الهرب من ذاك الوضع. أما الآن فهي تريد أن تبقى بقربه ليستيقظ ثم تندس بين ذراعيه حيث تمضي النهار بطوله.

لكنها خجلت من أفكارها هذه. كانت الليلة الماضية لا تصدّق، سحرية... لكن هذا الصباح عاد إليها تعقّلها وهدوؤها. الليلة الماضية

استسلمت لمشاعرها ولزوجها، لكن عقلها ذكّرها هذا الصباح بأنها لا يمكن أن تنسى عملها.

والأهم من ذلك أنه ذكرها بأن الإتفاقية ستستمر بالرغم من تغيّر مشاعرها... ما زالت اتفاقيتهما تقضي بزواج بسيط دائم من دون ارتباطات عاطفية.

لقد غيرت الليلة الماضية كل شيء بالنسبة إليها. علاقتها الجسدية معه بالنسبة إليها، حملت عهوداً أقوى من تلك التي قطعتها عند الزواج. لن تعود هي نفسها مرة أخرى أبداً. أما بالنسبة إلى دايڤيد...

عليها ألاّ تنسى أن الليلة لم تكن بالنسبة إليه كما كانت بالنسبة إليها، تلك الفرحة التي تعميها عن كل شيء. عليها أن تحاذر مما تقوله أو تفعله.

شعرت بحماقتها عندما لم تلاحظ ما يحدث لها، ولم تلاحظ الفرق بين الافتتان والحب. لكن لو أدرك دايڤيد ما يحصل لها...

لن يصدقها طبعاً. وكيف يصدقها وقد أخطأت حين ظنت أنها تحب تراڤيس؟ لا يمكنها أن تفسّر أبداً مدى الفرق هذه المرة. ولا يمكنها أن تتحمّل نظرة دايڤيد المرتابة، لا يمكنها أن تراه يرفع حاجبيه بشكّ. وارتجفت لهذه الصورة.

ولعل الأسوأ من ذلك هو ألاّ يرضى بأن يصدقها. فالوقوع في الحب لم يكن جزءاً من الاتفاقية. وذلك النوع من المشاعر يؤدي إلى الغيرة والأسئلة... كل الأمور التي لم يخطط لها دايڤيد.

ولذا عليها أن تلجم مشاعرها، وعليها أن تحتفظ باكتشافها الجديد هذا لنفسها... في قلبها. ولن تظهر غيرتها عليه، ولن تحصي عليه تحركاته، ولن تطرح الأسئلة.

هذا القرار، رغم ضرورته، أفرغ مقداراً كبيراً من البهجة من قلبها. وبهدوء، نزلت عن السرير واتجهت إلى المطبخ.

ما زالت المقلاة المليئة بسمك السلمون والليمون الحامض والتوابل على الموقد حيث كان تركاها. أفرغت المقلاة في سلة القمامة بكآبة، ثم وضعت إبريق القهوة على النار وأخذت تفتش في الثلاجة. سيشعر دايفيد بالتسلية، لأنها ستتناول الفطور هذا الصباح كما ستعدّه بنفسها. وتملكتها السعادة وهي تتصور صدى ضحكته.

وفيما هي تنتظر أن تسخن مقلاة العجة، أخذت تخرج محتويات الصندوق الذي نقلته إلى المطبخ الليلة الماضية. وضعت علبة البطاطا المجففة وعلبة حساء الدجاج على الرف، وفتاحة العلب والزجاجات في الدرج، وعلبة البلاستيك في القمامة.

لم يكن التصرف بالأوراق سهلاً بهذا الشكل، لأنها لا تعرف ما هي الأوراق بالنسبة إليه. وهكذا أخذت تجمعها وتدسها بين أوراق المفكرة ليتصرف بها دايفيد لاحقاً.

أخذت المقلاة تصدر أزيزاً، وعندما استدارت لتراها وقعت المفكرة من يدها وتناثرت الأوراق في كل مكان. شتمت إيف وأطفأت الموقد وأخذت تلملم الأوراق.

كانت قد أوشكت على الانتهاء عندما رأت الورقة. لم تعرف ما الذي لفت نظرها إليها من دون البقية. ربما لأنها مقصوصة من جريدة بدلاً من أن تكون ممزقة. ولكن ما إن التقطتها ورأت صورة الشخصين الباسمين فيها، حتى لم يعد إلقاؤها جانباً وارداً.

فالرجل الذي في الصورة دايفيد. أما الخبر في صفحة الاجتماعيات فهو خبر خطوبته.

ولكن ليس لإيف. لأن الصحيفة أوردت أنه ينوي الزواج من امرأة تُدعى لورا بنديكت، وأن تاريخ الزفاف هو شهر تشرين ثاني.

وبمعنى آخر... هذا الشهر.

* * *

١٠ ـ المرأة المجهولة

وقفت إيف جامدة تنظر إلى قصاصة الجريدة في يدها. لا عجب في أن يجيد إخفاء الأمور. لا عجب في ارتياحه لأنها لم تشأ أن تقيم عرساً فخماً، كما يرغب المحبون. فهذا سيذكّره بالعرس الذي كان سيقيمه.

وأخيراً، عاد ذهنها إلى العمل. قالت الجريدة إن موعد العرس في تشرين الثاني. ويمكن أن يكون في أي تشرين الثاني من السنوات الأخيرة. فما من تاريخ على قصاصة الجريدة. ويبدو أنه لم يلق في القمامة أي قطعة ورق منذ مدة طويلة...

حدثت نفسها بأن لا علاقة لها بالأمر، وأنها ليست حمقاء لتظن أنها المرأة الوحيدة في حياته. فهي تعلم ذلك منذ عانقها لأول مرة، حين تساءلت أين تعلّم أن يعانق بهذا الشكل...

أدركت الآن أنها شعرت بوخزة من الغيرة حينذاك، لكنها لم تلحظها في حينه.

وتبادلا المزاح عن عشيقاته اللواتي عشن معه. لم تصدق لحظة أنهن كثر... وكان هو يمزح بهذا الشأن. لكن أتراه تحدث عن عشيقات كثيرات لكي يبعدها عن التفكير في واحدة بالذات؟

تذكرت أنها تساءلت عن ذلك أيضاً. وعما إذا كان في حياته امرأة لها شأن حقيقي. لكنها سرعان ما نبذت من ذهنها المرأة المجهولة التي تصورتها بعكس لورا... الشقراء الجميلة الباسمة لورا بنديكت...

قالت له ذات مرة: «أنا لم أسألك عن النساء اللواتي في حياتك».

وبدلاً من أن يجيب، عاد بالحديث إلى تراڤيس.

حسناً، لقد حصلت الآن على الجواب.

حدّثت نفسها بأن تنسى ذلك لأنه لم يتزوج لورا بل تزوجها هي، بغض النظر عن الأسباب.

وهذا يعني أن لورا لم تعد مهمة الآن أكثر من تراڤيس تيت. أصبحا من الماضي، وإذا كان الأمر مهماً، أو يثير لدى دايڤيد شعوراً بالذنب لما ترك هذه القصاصة ملقاة بهذا الشكل. ففي الليلة الماضية، عندما نقلت هذا الصندوق إلى المطبخ، كان بإمكانه وبكل سهولة أن يختلق عذراً ليأخذ المفكرة التي تضم هذه الأوراق.

ثم تذكرت أن الفرصة لم تتح له الليلة الماضية لرؤية المفكرة، فقد كانت في قعر الصندوق، لذا كان يمكن ألا يراها أبداً. وهي أيضاً ما كانت لتدخل المطبخ لولا جرح معصمها. وما إن ضمّده لها حتى شرعت تغويه...

ستقودين نفسك إلى الجنون بهذا الشكل! لكنها تريد أن تعلم. كانت يداها ترتجفان وهي تتناول المفكرة مرة أخرى وتبدأ بتقليب صفحاتها وهي تتأمل بعناية كل يوم من شهر تشرين الثاني.

تمنت من كل قلبها ألاّ تجد موعد الزفاف، ولكن ها هو ذا. وجدته مكتوباً بخط جميل ثابت لم يكن خط دايڤيد، بل خطاً أنثوياً وضع ملاحظة بأن عرسه في عطلة نهاية الأسبوع القادمة.

حسناً، يبدو جلياً أن ذلك لن يحدث لأن إيڤ وصلت بدلاً منها، أو بالأحرى، هنري.

عادت كلماتها هي إلى ذهنها. أن يكون ساعد هنري بيرمنغهام الأيمن وخليفته فرصة ذهبية لا تعوّض. أي مصمم عاقل سيقبل بهذا العرض مسروراً، فالتخلي عنه جنون.

دايڤيد ليس بمجنون. لذا، تخلّى عن لورا.

ولكن، هل هذا صحيح؟

أتراها تنتظره كما كانت هي تنتظر تراڤيس بكل إخلاص؟ أتراه لفّق لها قصة عن زوجة باردة وزواج من دون حب...

لكن قصة دايڤيد حقيقية، بعكس قصة تراڤيس. وفكرت بغضب بأن هذا غير صحيح. لو كان يحب امرأة أخرى لما طلب منها أن يجعلا زواجهما حقيقياً.

لعله لم يطلب منها ذلك إلاّ إرضاءً لشهواته واكتساباً لرضا هنري، وهذا أمر مختلف تماماً.

* * *

دخل دايڤيد المطبخ على رؤوس أصابعه، وتسلل من خلف إيڤ التي تقف أمام الموقد، ثم وضع ذراعيه حولها.

أجفلت قليلاً فقال: «هل أخفتك؟ آسف، لكن كان علي أن ألمسك كي أتأكد من أنك حقيقية. ظننت نفسي أهلوس عندما رأيتك تحضرين الفطور».

تخلّصت من بين ذراعيه ورفعت العجة من المقلاة ووضعتها في الطبق: «التوست سيجهز في أي لحظة».

فنظر إلى الطبق: «ألن تأكلي؟ لا بد أنك جائعة بعد الليلة الماضية».

ونظر إليها مستمتعاً وهي تحمرّ خجلاً ثم أضاف: «أعني لأنك لم تتناولي العشاء. لا أظن أن السلمون يمكن أن يؤكل الآن».

ـ لا، فهو أشبه بممحاة من المطاط مقلية بصلصة من الصمغ الأخضر. كما أنني تناولت فطوري. وأنا ذاهبة الآن لأغتسل، لهذا ربما لن أكون مستعدة للخروج معك، فاذهب إلى العمل وحدك هذا الصباح.

لماذا تتصرف بهذا الشكل الغريب؟ وقال بصوت حاول أن يجعله طبيعياً: «وبماذا أعتذر لهنري عن تأخرك؟».

ـ أنا واثقة من أنك ستجد عذراً يرضيه.

وغادرت المطبخ.

صفّر بصوت خافت. لم يفهم ما يجري وهو يرى امرأة مختلفة جداً عن تلك التي كانت بين ذراعيه الليلة الماضية. وانشغال بالها لا علاقة له بلهفتها للذهاب إلى العمل إذ لم يكن يبدو عليها الاستعجال. حتى أنها لم تهتم بأن كل موظف في المتجر يراهن على وقت وصولهما.

ماذا حدث إذن؟

هل خيّب أملها الليلة الماضية؟ لا يظن ذلك. ولم يكن اعتقاده هذا بسبب غرور الرجل فيه، بل لأنه لم يعد لديه شك الآن في أن بركاناً متفجراً يكمن تحت النهر الجليدي. لقد توقع، بعد انطلاقها على سجيتها الليلة الماضية، أن تبدو خجولاً أو مرتبكة قليلاً هذا الصباح. لكنه لم يتوقع أن تعود فتتحول إلى ثلج صلب مرة أخرى.

أتراها غيّرت رأيها بالنسبة إلى علاقتهما؟ هل شعرت أنها أصبحت غير وفية لتراڤيس؟ أو لعلها شعرت بالذنب؟

أم أن السبب مختلف كلياً؟ في الليلة الماضية نبذ فكرة خطرت له بأن لهنري يداً في تغيير موقفها منه. لكنها قالت شيئاً...

قالت إن هنري سيكون سعيداً. واعتبر هو أن هذا الكلام يعني أن هنري سيسرّ لنجاح خطته.

لكنها أضافت شيئاً آخر، شيئاً أراحه، وأرضاه إلى حد منعه من أن يلاحظ ويفكر. فقد قالت برقة زائدة: حصلت الآن على كل ما تريده.

فهمس: «هل لهذا السبب فعلت ذلك يا إيف؟ لأنك شعرت أنك ملزمة بذلك؟».

ماذا حدث لها هذا الصباح؟

* * *

ماذا حدث لها؟ سألت إيف نفسها بمرارة وهي تقف تحت الدوش،

منتظرة أن يخرج دايڤيد إلى العمل لتتمكّن من الخروج من الحمام بأمان. لماذا لا تنجذب إلا إلى الرجال المرتبطين بنساء أخريات؟ أولاً تراڤيس، والآن دايڤيد...

ورغم أن لا سبيل للمقارنة بين الحالتين، إلا أنها الآن أسوأ بكثير، فاكتشاف أن دايڤيد كان ينوي الزواج من امرأة أخرى لم يشفها من حبها له. حتى علمها بأمر لورا لم يمنعها هذا الصباح من أن تستدير بين ذراعيه وتعانقه.

كانت تظن أنها لا تهتم بماضيه، لكن تبيّن لها أنّ ذلك غير صحيح لأنها تهتم بشكل فظيع. ومع ذلك كانت لورا ماضيه، وهي مستقبله. لقد قام بالاختيار...

لكن إيف فكرت باكتئاب بأنها ليست مستقبله، بل مستقبله هو متجر بيرمنغهام. فهو لم يختر بين المرأتين، بل بين لورا بنديكت متجر بيرمنغهام. وهكذا لم يحالف الحظ تلك المرأة المسكينة.

سيبقى وفياً لمتجر بيرمنغهام من دون شك، وكان تراڤيس محقاً حين قال إنّ دايڤيد سيخسر كثيراً إذا لم يحاذر. وهذا يعني أنه سيكون وفياً لها هي أيضاً، على الأقل حسب تعريفه لمعنى الوفاء. ولن يخرق الاتفاقية طالما أنّ هنري يراه.

كما أنّ ما من سبب يدعو إيف لأن تخرقها هي أيضاً، فهي التي وضعت الشروط، وقد وفى هو بكل حرف منها. حتى عندما طلب منها أن تشاركه فراشه، لم يكن ماكراً ولم يهددها أو يبتزها أو يبكي.

هي التي تتصرف كطفلة مدللة تريد أن تجمع دماها وتعود إلى بيتها لأنها لم تعد تحب اللعبة... رغم أنها وضعت الشروط بنفسها.

هذه الأفكار وضعتها أمام خيارين. إما أن تفي بعهدها فتحافظ على احترامها لنفسها، وإما أن تهرب من الاتفاقية فتحطم قلب هنري وتكلّف دايڤيد مستقبله.

عندئذ لم يعد أمامها طبعاً سوى خيار واحد. فقد قالت له بنفسها إنها لا ترى سبباً لتحطّم الزواج إذا كان مبنياً على أهداف جيدة معقولة. لا بد أنها بدت حينذاك مغرورة تزدري بالآخرين.

الأهداف ما زالت جيدة ومعقولة، وهكذا ستعيش وفقاً للاتفاقية التي وضعتها، رغم ما استحالت إليه.

لكنها لن تتصرف بجنون كالليلة الماضية. إذا كانا سيطبقان الاتفاقية ويلتزمان بها، فعليهما أن يعودا إلى الشروط الأساسية.

* * *

من الضروري جداً أن يتحدث إلى هنري في أسرع وقت ممكن... لكن، كان هذا هو اليوم الذي يتأخر فيه الرجل العجوز في تناول الفطور ثم يتمشى في الحديقة العامة قبل أن يعود إلى العمل. جلس دايڤيد إلى طاولة عمله محاولاً التركيز على حليه، لكن يديه كانتا غير ثابتتين. وعندما سمع صوت هنري يصل، استدار يواجهه: «هنري، أريد بعضاً من وقتك».

وقف هنري بجانبه ونظر إلى الحلية وهز رأسه: «يبدو وكأنك أكثرت من شرب القهوة هذه الأيام. يداك ترتجفان».

- القهوة ليست السبب في ارتجافي.

كان متلهفاً للحديث بحيث لم يمهد للأمر بلباقة: «أريد أن أغير شروط اتفاقيتنا بالنسبة إلى متجر بيرمنغهام».

ضاقت عينا هنري: «أظن أن الوقت فات قليلاً على ذلك».

فكر في أن الوقت فات منذ وقت طويل، لكنه أراد أن يقوم بذلك بأي شكل.

- في الواقع، أريد أن أتخلص من الاتفاقية كلها.

ووقع على الأرض خلفه شيء معدني برنة موسيقية فاستدار في كرسيه ليرى إيف واقفة على بعد خطوات منه، وقد استقرت عند قدميها صينية مبطنة بالمخمل كانت تحمل دزينة من الخواتم تناثرت على الأرض

الخشبية الصلبة. وكانت تحدّق إليه وكأنه ضربها.

قفز واقفاً: «إيف...».

وضع هنري يده على ذراعه، وكان دايڤيد يعلم أنه يستطيع أن ينفضها عنه بسهولة، لكن ما الفائدة؟ لقد ذهبت إيف. إنه يسمع وقع خطواتها السريعة على السلم وأدرك أنه لن يستطيع أن يلحق بها الآن. ما زالت الخواتم حيث تركتها، والأحجار الكريمة تتألق تحت الضوء. الخواتم التي أحضرتها له لكي يجرب فكرتها عن تصميم السوار...

قال هنري عابساً: «لن تذهب إلى أين مكان، يا ولدي. أوضح ما قلته فهذا أفضل».

* * *

أدركت إيف أن عليها أن تشعر بالارتياح لأن دايڤيد هو الذي اختار عنهما هما الاثنين. وبما أنه جاهر بذلك بصراحة، لن يكون عليها أن تخمّن أو تتكهن، ولن يكون عليها أن تخيّب أمل هنري.

لكن صدمتها بما قاله شلّت حركتها... ألم يعد يطيق العيش معها إلى حد جعله يضحي بمتجر بيرمنغهام ليستعيد حريته؟ وهل عناقه العابث لها هذا الصباح هو آخر ما استطاع إرغام نفسه عليه؟

لم تستطع مواجهة الموظفات الفضوليات في المتجر، كما لن تستطيع مواجهة هنري حالياً، لأنها لا تحتمل أن تراه غاضباً أو متألماً، عليها أن تتحكّم في أعصابها ومشاعرها أولاً.

لكنها لن تحتمل سكون الشقة أيضاً. ولم تعرف كيف وجدت نفسها في متحف التاريخ الطبيعي، تسير ببطء في قسم الأحجار الكريمة. لم تر شيئاً من الأحجار بل راحت تستعيد ذكريات آخر مرة كانت فيها هنا والأمل الذي لفّ قسماً كبيراً من ذاك النهار.

لم تدرك حينذاك أنها كانت تقع تدريجياً في غرامه.

لمحت نفسها في مرآة معروضة. هل وجهها شاحب بهذا الشكل

بسبب الصدمة، أم أن إنارة المكان هي السبب في ظهور هذا اللون؟ مدّت يدها لترى إن كانت ترتجف حقاً كما تشعر، فوقع نظرها على المحبس البلاتيني في إصبعها.

لقد أصبح سريعاً جزءاً منها، كما ناسب يدها بشكل طبيعي، وكأنه لطالما كان موجوداً.

كان عبقرياً حقاً، فمن المفترض أن تشعر بالخاتم ثقيلاً نظراً لسماكته وعرضه. لكنه صنعه بطريقة جعلته لا يثقل عليها أبداً. وهو فعلاً لن يثقل عليها بعد الآن.

خلعت «المحبس» من يدها ببطء. هذه أول مرة تحمله فيها لأنها لم تنزعه من إصبعها منذ ألبسها دايڤيد إياه.

في الأمس فقط تمنت لو أن لديها خاتم خطبة لتتمكن من أن تدّعي أنه رمز حب، وها هي الآن تدرك أن «المحبس» زائف بقدر زيف الخاتم.

هل صممه من أجلها حقاً؟ أم أنه «المحبس» الذي كان سيعطيه للورا؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل ما زالت لورا تحتفظ بخاتم الخطبة؟

وزجرت نفسها لتكفّ عن ذلك... عن تعذيب نفسها إذ لم يعد ذلك يفيد.

وضعت «المحبس» في جيبها وقد شعرت بأن كل شيء انتهى، ثم عادت إلى بيتها لأنها لا تعرف مكاناً غيره تذهب إليه.

كانت الشقة هادئة لكنها أدركت حال دخولها أنها ليست خالية. لا بد أنه في غرفة الضيوف، التي لن تسميها غرفة نومه بعد الآن، يحزم أمتعته. علّقت معطفها ثم دخلت المطبخ.

عندما دخل دايڤيد كان إبريق الشاي يغلي. فقال: «الحمد لله أنك هنا فقد بدأ القلق يتملكني».

لم تعبأ بأن تسأله لماذا يهتم، فقد رأت أن لا فائدة من المشاجرة. يمكنهما أن يفترقا من دون تبادل الاتهامات الجارحة التي تعلق في

الذاكرة: «سأبقى بعيدة عن طريقك وأنت تجمع أغراضك».

لم يتحرك: «إيف...».

- كان علينا أن نتوقع حين بنينا بيتاً من الكرتون، أنه سينهار عاجلاً أم آجلاً.

وغسلت فنجانها فيما بقي هو واقفاً بهدوء. ألم يفهم الإشارة؟ فقالت: «لا تدعني أعيقك...».

فأتم كلامها: «عن حزم أمتعتي؟ لماذا تظنين أنني أفعل هذا؟».

كادت توقع الكوب من يدها: «بعد ما قلته لهنري هذا الصباح، لا بد أنه أمرك بأن تخرج ولا تعود إلى المتجر أبداً».

- لم يفعل ذلك. بل ذكرني بأننا، نحن الثلاثة، عقدنا اتفاقية.

نظرت إليه مباشرة لأول مرة: «هذه سخافة. فهو لا يستطيع إرغامك إذا شئت التراجع عنها. لن يحاول ذلك لأن الأمر سيكون فظيعاً. بالنسبة إلى العمل، إلى هنري، إليك... وإليّ...».

وابتلعت غصة في حلقها.

- لم تفكري في ذلك الليلة الماضية.

جمدت يدها على كيس الشاي: «ماذا تعني؟».

- لقد قلت لي: «حصلت الآن على كل ما تريده».

فهزت كتفيها: «حسناً، هكذا بدا الأمر. أنت حرّ في اتخاذ القرار الذي تريده. لديك البداية وهي سمعة متجر هنري ونفوذه، ولديك الازدهار المتوقّع للعمل الذي سيصبح لك يوماً ما».

- والليلة منحتني بنفسك الشيء الوحيد الذي كان مفقوداً.

- لكنك لم تكن تريدني، أليس كذلك؟

وأخرجت «المحبس» من جيبها مضيفة: «خذ يا دايڤيد».

لم يمد يده بل سألها: «ما الذي جعلك تظنين أنني لم أكن أريدك؟».

كان صوته متوتراً منخفضاً. فألقت الخاتم على الطاولة أمامه وردّت:

«ربما عليّ أن أصوغ كلامي بشكل مختلف، وإن كان ذلك غير مهم».

المرارة جعلتها تسأل، رغم علمها بسخافة ذلك. لكنها أرادت أن تعلم: «ثمة أمر واحد فقط، يا دايفيد. هل كان هذا «المحبس» لي منذ البداية؟ أم أنك صممته من أجلها؟».

جمد في مكانه: «من أجلها؟».

ـ لورا بنديكت. هل تتذكرها؟ المرأة التي كنت ستتزوجها يوم السبت القادم؟

ـ هل هذا سبب كل ما يحصل؟

فثار غضبها: «لا، ليس هذا. لا يمكنك أن تلقي اللوم عليّ. فأنا لست من أخبر هنري أنني أريد إلغاء الإتفاقية».

ـ أنت لم تخبريه لأنني سبقتك إلى ذلك... لكنك أردت أن تلغيها، وبدا هذا واضحاً جداً عند الصباح. لكن... هل كان ذلك بسبب لورا؟

ـ لا، ولكن لماذا لم تخبرني عنها إذا لم تتوقع أن يزعجني هذا؟

ـ لأن لا أهمية لها.

ـ أحقاً؟ إذا كانت لا أهمية لها، فلماذا لم تخبرني عنها؟

ـ تباً يا إيف! أنت تدورين في حلقة مفرغة. إذا كان أمر لورا لا يهمك، فلماذا تعلقين أهمية كبرى عليه؟ ما من سبب يجعلني أخبرك عنها، فقد انتهى أمرها.

ـ لقد انتهى ذلك فقط بسببي. أو بالأحرى بسبب متجر بيرمنغهام.

ـ لا.

انتظرت لكن الصمت امتد ولم يكمل كلامه وقالت أخيراً: «أهذا كل شيء؟ «لا» فقط؟ وتريدني أن أصدقك؟».

ـ لقد صدقتني في أمور كثيرة أخرى.

ـ هذا مختلف!

وندمت على اندفاعها إنما بعد فوات الأوان. فقد نظر إليها متفحصاً

وعيناه تلمعان: «إنه مختلف بكل تأكيد. كما أنك تغيّرت. لو أنك ما زلت نهر الجليد الذي تزوجته، لما أزعجتك لورا مقدار ذرة».

لم تستطع منع نفسها من الارتجاف: «أنا فقط...».

وسكتت لا تعرف ما تقول. هل تقول له إنها لا تريد أن يكذب عليها؟ أم أنها تكره أن يكون هناك امرأة أخرى في حياته؟

ـ لم يعد هذا مهماً، فقد أخبرت هنري أنك تريد إلغاء الإتفاقية.

ـ وبهذا لن تضطري لأن تخبريه بنفسك.

ـ دع عنك التظاهر بالنبل، ولا تلقِ اللوم عليّ.

ـ تباً يا إيف! هذا بالضبط ما أحاول ألاّ أفعله.

ـ تقول إنك فعلت هذا لتحميني من غضب هنري لكنني لا أصدقك. لا يمكن أن يكون هذا هو السبب الوحيد لطلب إلغاء الاتفاقية.

أخذ نفساً عميقاً، فشعرت للحظة أن دوران الكون تعلّق بكلامه ثم قال ببطء: «لا. إنه ليس السبب الوحيد. كنت أفكر في ذلك منذ فترة».

اكتسحتها موجة من العذاب. لم تدرك أنها تأمل وترجو مرة أخرى، مهما كان الأمل واهياً. وقال دايفيد بحزم: «لكن ليس للورا علاقة بذلك. إذا أردت أن تعرفي الحقيقة فاعلمي أننا عرفنا بعضنا البعض مدة طويلة، و...».

ـ لا أريد أن أسمع التفاصيل.

ـ فات الأوان، فقد طلبت ذلك، ولا بد من أن تصغي. كانت أمها صحفية تُعنى بصفحة الاجتماعيات في تلك الصحيفة الصغيرة، والأعراس هي شأنها الأكبر. بعد أن خرجت مع لورا فترة، أخذت أمها تلمّح إلى موعد العرس. جن جنوننا في البداية، لكن بعد فترة رأينا أن لا مانع من ذلك. كنا منسجمين تماماً، ولم تعترض على علاقتنا أسرتها. وهكذا، حددت والدتها التاريخ لأنها قالت إن تنظيم الزفاف يتطلب الكثير من الوقت ثم نشرت الخبر في الصحيفة... وأظن أن هذا ما جعلك تعلمين

بالأمر؟

أومأت بجمود: «سقطت من مفكرتك».

ـ لكن وبعد أن نشرنا الخبر، أدركت أنني لا أستطيع ذلك. لورا امرأة عظيمة... لكنها كأخت تقريباً، وهذه مشكلة طبعاً. لم يكن ارتباطنا إنصافاً لأي منا. شعرت بأنني غبي، لكنني قلت لها إنها تستحق أفضل مما أستطيع أن أقدمه لها، فأخذت تبكي...

عضت إيف شفتها حتى الألم، وقد خطر لها أنها قد تنتهي كتلك المرأة. إنهما متشابهتان كثيراً.

ـ بعدئذٍ، أخبرتني هي أيضاً أنها كانت تحاول أن تقول لي الشيء نفسه، أنني أستحق أكثر مما تستطيع أن تمنحني. فضحكنا معاً طويلاً... وهكذا عاد كل منا إلى طريقه لكن أمها كرهتني. دامت خطوبتنا حوالى ثلاثة أسابيع.

فقالت متألمة: «ومن حسن حظك أن هنري قدّم لك... أكثر».

فقال بجفاء: «نعم... أكثر مما توقعت بكثير».

لم تشأ أن تفكر في الأمر، كما أنه لم يجب عن السؤال الأهم: «إن كنت لا تريد العودة إلى لورا، فلما أخبرت هنري أنك تريد فسخ الاتفاقية؟».

مضت لحظة ظنت فيها أنه لن يجيب: «أن نعقد صفقة بيننا هو شيء، وأن نعيش بمقتضاها أمر آخر».

ـ يمكنك أن تقول هذا مرة أخرى.

تجاهل مقاطعتها: «شعرت وكأنني أستغلك. نعم، كنت أستغلك يا إيف. لقد تزوجتك من أجل متجر بيرمنغهام وما دمنا شريكين في هذه الصفقة، فسوف تعتقدين دوماً أن رغبتي في البقاء معك هي بسبب متجر بيرمنغهام».

توقّف قلبها عن الخفقان فيما تابع هو: «لقد أخطأ أبي الهدف. كانت

نصيحته جيدة، إنما لم تكن بعيدة النظر. أخبرني ألاّ أخرج بموعد حب مع أي فتاة من دون نية الزواج. لكنه لم يحذرني من أن أتزوج فتاة لا أنوي الوقوع في غرامها».

جفّ حلقها فعجزت عن الكلام للحظات: «لذا، أخبرت هنري...».

ـ كنت سأخبره بأنني لا أريد أجراً على الزواج منك وأن «متجر بيرمنغهام» هو ملكك أنت كلياً، وأنني أريد أن أقنعك بأنك تريدينني أن أبقى بجانبك. عندما جئت إليّ الليلة الماضية ظننت أنني ربحت كنزاً، وإذا بهذا الصباح...

فهمست: «لأنني وجدت قصة لورا، وكنت لأتقبّلها لو أنك لا تحبني ولن تحبني أبداً. لكنني لم أستطع أن أحتمل فكرة أن تحب امرأة أخرى غيري».

احتضنها فبقيت مدة طويلة مستندة إليه، مستمتعة بالعودة إلى ذراعيه. وأخيراً قال لها: «أتعلمين أن اسمك ومعناه حواء ملائم جداً؟ ليس لديك فكرة عن مقدار جاذبيتك. لا أريد أن أعترف بذلك كما لا أريد أن أعترف بأنني شعرت بالغيرة من تراقيس تيت ذلك اليوم في المطار، لأنني أدركت أنك ما كنت لتعانقيني أبداً لولا رغبتك في التأثير فيه».

هزت رأسها قليلاً: «أظنني كنت أعلم دوماً أنني لا أهمه بقدر ما يهمني، أو بالأحرى بقدر ما ظننته مهماً ليّ. وأظن أنّ هذا أحد الأسباب التي جعلتني أوافق على خطة هنري... فبهذا أبني جداراً حولي يحميني من أن أغيّر رأيي، لأنني كنت أشعر في أعماقي بأن ذلك الحب هو أسوأ ما حدث لي على الإطلاق».

ـ إذن، فأنت لم تحاولي أن تنتقمي منه الليلة الماضية؟

ـ هل سمعت عن التوأم أنت أيضاً؟

أومأ برأسه فابتسمت قليلاً: «لا، أظنه نال ما يستحق. وسيكون صعباً

عليه أن يعيل أربعة أولاد. لكنني أدين له بشيء، فقد جعلني أدرك ما يحدث لي. لم أشعر بالألم لأنك كنت قد أخذت كل المساحة التي ظننت أنني أبقيتها لتراقيس».

- وأنا لا أنوي أن أتخلى عن إنش منها. والآن، بعد أن ظفرت بكل اهتمامك فلن أفلت ذرة منه.

- ماذا أخبرت هنري هذا الصباح؟

- كل شيء. لم أشأ ذلك لكنه استخلص مني القصة كلها. تعرفينه رجلاً حكيماً، وهو يعلم جيداً ما يفعل. فحكمته هي: «إعزل رجلاً وامرأة في مكان واحد، وانتظر ما لا مناص منه».

- نحن محظوظان بشكل لا يصدق، يا دايڤيد.

- نعم، لكن لم يكن الحظ وحده بل هنري. أخبرني هذا الصباح أن لائحة المرشحين الثلاثة كانت زائفة، وأنني الوحيد الذي اختاره. وهو واثق جداً من أننا سننجح لأنه يظننا متلائمين تماماً. لأننا وقيّان أكثر من المعقول. ما زلت لا أدري إذا كان ذلك مدحاً أم ذماً.

فضحكت: «ربما كان مديحاً. لكن عندما يبدو هنري كالقديس...».

- يصبح خطراً مثلك عندما تبتسمين يا إيڤ. هل ظننت حقاً أني قد أعطيك خاتم امرأة أخرى؟

- لقد أخبرت السيدة مورغان أن أول أعمالك سيكون خاتم زفاف... لكنك لم تصنعه.

- أتتوقعين مني أن أسمح لك برؤيته؟ كاد ينتهي عندما جئت إلى هنا. وكان أسرع قطعة صنعتها في حياتي، فقد بدا وكأنه يصنع نفسه.

وتناول «المحبس» من حيث ألقت به، ثم أعاده إلى إصبعها.

شعرت بالمحبس منعشاً في إصبعها، فتأملته راضية: «كل ما عرفته هو أنك لم تكن تشتغل به، وعندما عرفت بأمر لورا...».

- ظننتني أعدت تجديده.

فقالت بنعومة: «رغم أن الفكرة آلمتني إلا أنني لم أوجّه إليك اللوم بالضبط. فالشروط التي فرضتها عليك ومطالبتي لك بألاّ تتباهى بموهبتك في صنع «المحبس»...».

- حاولت حقاً فعل ما تريدينه يا إيڤ، فكان «المحبس» عادياً بسيطاً.

فأضافت برقة: «كما رفضت التفكير بخاتم خطبة».

- هل غيرت رأيك في هذا؟

هزت رأسها ومدّت يدها: «هذا هو الخاتم المهم».

- أنا لا أصدقك تماماً.

- حسناً، لقد ندمت على ذلك، فهل تصمم لي خاتماً ماسياً؟

عانقها برقة وقال: «لا».

فعبست: «لماذا لا؟ هل لأننا سبق وتزوجنا؟».

فمد يده إلى جيبه: «بل لأنك قلت من دون الماس».

فتح يده. وتألق على راحته خاتم مماثل تقريباً لمحبس زفافها، يزيّنه حجر فيروزي اللون. كانت أروع زمردة رأتها إيڤ في حياتها. قال: «تحدّثت مرة عن زمردة بحجم ضوء إشارة السير، لكني آسف لأن عليك أن تقبلي بأحد عشر قيراطاً».

فشرعت تبكي: «أنت صممت هذا حتى قبل...».

- قبل أن أعلم ما أصابني. وفيما كنت لا أزال أمزح عن أن هذه الاتفاقية قد تكلفني ضلعاً، وإذا بها تكلفني قلبي.

فهمست: «إنها رائعة».

فقال منبهاً: «ثمة أمر عليك أن تعرفيه قبل أن تضعيها في إصبعك. إنها مثل قلادة الياقوت التي شكت منها إحدى زبوناتنا مرة».

فأخذت تتذكر: «تلك التي كانت تظنها مسحورة؟».

- نعم، وهذا صحيح بالنسبة لهذه الزمردة. فهي من زوج يحبك إلى